

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية

التخصص: أدب جزائري

العنوان:

رمزية التاريخ في الرواية الجزائرية (رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الدكتور:

كوريدات حورية

إعداد الطالب

يوسف سبع عبد القادر

لجنة المناقشة:

رئيسا

جامعة غليزان

1-1 / خطار نادية

مشرفا ومقررا

جامعة غليزان

2-1 / كوريدات حور

عضوا مناقشا

جامعة غليزان

3-1 / مغاري لويبة

السنة الجامعية

1446/1445 هـ

2025 - 2024 م



سُرَّةُ الْقَلَمِ

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم و المعرفة أحمده سبحانه على حسن التوفيق

و الصلاة والسلام على اشرف المرسلين.

أتقدم بجزيل الشكر و الاحترام لأستاذتي المشرفة **كوريدات حورية**، لما قدمته لي من توجيه و تزويد

بمعلومات قيمة و أشكرها على مرافقتي طيلة انجاز مراحل هذه المذكرة.

كما أشكر جميع الاساتذة الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها الذين ساهموا في تكويننا العلمي خلال

هذه المسيرة الدراسية, فكان لهم الفضل بعد الله في اكسابنا المعارف و المهارات الثمينة.

لكم كل الاحترام و التقدير.

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا وما كنت لأصل اليه لولا فضل الله علي .

أهدي هذا العمل الى من كانت لي رمزا للعطاء و الحنان... الى أمي العزيزة، أهديك هذا العمل
تقديرا لجهودك, و اعترافا بجميلك الذي لا يُرد.

الى أبي الكريم ، سندي و داعمي في كل خطوة، الذي لم يخل علي بالدعم و التشجيع ، أهديك
هذا الانجاز بكل فخر وامتنان.

الى كل من وقف بجاني و شجعني و شاركني هذه الرحلة العلمية، أهديك ثمرة جهدي و ممتنيا أن
يكون هذا العمل إضافة قمة في مجال البحث العلمي.

أهدي هذا العمل الى كل من كان له أثر في نجاحي.

حفضكم الله و بارك فيكم

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

7	مقدمة
5	مدخل
6	الرواية لغة :
7	اصطلاحا :
10	مفهوم التاريخ :
12	مفهوم الرواية التاريخية :
16	الفصل الأول
16	علاقة الرواية بالتاريخ
17	1- شروط الرواية التاريخية :
20	رمزية توظيف التاريخ في الرواية :
21	- العلاقة بين الروائي والتاريخ :
24	رمزية وجمالية إستحضار التاريخ في الرواية :
27	الفصل الثاني
27	رمزية توظيف التاريخ في الرواية
28	تمهيد :
29	1- لمحة عن رواية البيت الأندلسي :
30	العنوان :
42	2- الشخصيات
58	3- رمزية البيت :
67	صورة الفرنسي في الرواية :
69	الحرب الأهلية الإسبانية :
70	4- الجزائر بعد الاستقلال :
72	مخطوطة غاليليو :
73	الموريسكيون في الجزائر :

فهرس المحتويات

76	الإسبانفون "محاكم التفشفش" :
77	الإنكشارففن :
78	دراسات حول البفف الأنءلسف :
81	خاآمة.
84	قائمة المصادر والمراجع
91	الملاحق.
98	ملخص.

مقدمة

شغلت العلاقة بين الأدب والتاريخ اهتمام الباحثين والنقاد، حيث لا يمكن فصل الخطاب الروائي عن السياقات التاريخية التي يتغذى منها ويعيد إنتاجها بشكل فني وجمالي. وفي هذا الإطار، جاءت رواية البيت الأندلسي للروائي واسيني الأعرج كنموذج دالّ على هذا التداخل العميق بين السرد الروائي والتاريخي، إذ تستحضر الرواية حقبا من التاريخ الأندلسي والجزائري تعكس الرؤية الابداعية حول الهوية، الاغتراب، والحنين إلى الماضي.

إن توظيف التاريخ في البيت الأندلسي ليس توثيقيا فحسب، إنما يتخذ طابعاً إبداعياً يسهم في بناء العالم الروائي وتشكيل الشخصيات وصياغة الأحداث. حيث تنطلق الرواية من ماضي الأندلس كرمز تاريخي وثقافي تطرح قضايا الحاضر في الجزائر، وتفتح حواراً بين الذاكرة والهوية من خلال التناسل مع وقائع وأزمنة تاريخية مختلفة.

تهدف دراستنا في البحث عن آليات توظيف التاريخ في الرواية، والكشف عن الأبعاد الفنية والفكرية التي يتعزز بها هذا التوظيف، وذلك من خلال تحليل بنية السرد، واستحضار الشخصيات التاريخية، والوقوف عند رمزية المكان والزمان، سعياً إلى فهم الكيفية التي يُعاد بها تشكيل التاريخ في النص الروائي لخدمة مقاصد معاصرة تتصل بالواقع والذات والهوية.

واسيني الأعرج، أحد أبرز الأصوات الروائية في الأدب العربي المعاصر، رُف بقدرته على مزج التاريخ بالخيال، واستلهام أحداث الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

وقد احتلت رواية البيت الأندلسي مكانة متميزة بوصفها نموذجاً روائياً معاصراً يوظف التاريخ العربي - الأندلسي والجزائري - في بنية سردية متخيلة تنبع من الذاكرة الجماعية والجراح الفردية.

جاء اختيار موضوع "توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي" انطلاقاً من الرغبة في استكشاف الكيفية التي يتحول بها التاريخ إلى مادة تخيلية داخل النصوص الروائية، خاصة في الأعمال التي تتجاوز الطرح السردى المباشر و تقف عند قضايا الهوية والذاكرة والمنفى. وقد مثلت رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج نموذجاً غنياً ومركباً لهذا التوظيف، حيث استطاع الكاتب أن يدمج بين البعد التاريخي والهوى الذاتى الجمعى فى بناء سردى جمالى عميق.

وعليه، فإن هذا البحث يسعى إلى دراسة كيفية توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي، من خلال تحليل التقنيات السردية التي اعتمدها الكاتب، واستكشاف الخلفيات الرمزية والحضارية لهذا التوظيف، وذلك للكشف عن الوظيفة الجمالية والفكرية التي يوفرها التاريخ داخل النسيج الروائي. كما سيتطرق البحث إلى مسألة التناص التاريخي والتناص مع الوقائع، والرموز، والشخصيات، لفهم آلية استحضار الذاكرة التاريخية في الرواية وإعادة تشكيلها روائياً .

. هذا التوظيف لا يتم بشكل توثيقي بل عبر التخيل وإعادة الإنتاج الجمالى. ومن هنا، تطرح الإشكالية التالية نفسها:

كيف يوظف واسيني الأعرج البعد التاريخي في رواية البيت الأندلسي؟ وما هي الوظائف الجمالية والدلالية التي يؤديها هذا التوظيف في تشكيل رؤية روائية للهوية والمنفى والذاكرة؟

وقد قمنا بصياغة هذه الاشكالية وفق خطة بحث تقسمت الى

مدخل و فصلين ؛ المدخل تناولنا فيه الإطار النظري والتاريخي مفهوم التخييل التاريخي في الرواية أما الفصل الأول تطرقنا فيه الى علاقة الرواية بالتاريخ و رمزية وجمالية إستحضار التاريخ في الرواية أما الفصل الثاني عالجنا فيه دؤلسات حول رواية البيت الأندلسي وعلاقة التاريخ بالرواية.

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي - التأويلي نظراً لما تقتضيه طبيعة الموضوع من قراءة متأنية للنص الروائي بغرض الكشف عن آليات توظيف التاريخ داخله، وتحليل البنية للسردية والرمزية التي تحكم العلاقة بين التخييل والحقيقة التاريخية. فالمنهج التحليلي مكن من تفكيك مكونات النص، ودراسة العناصر الفنية كالزمان والمكان والشخصيات، وتحديد كيفية استثمار المرجعية التاريخية في تشكيل المعنى والدلالة.

أهمية البحث:

هذا البحث يسلط الضوء على جانب بالغ الأهمية في الرواية العربية المعاصرة، والمتمثل في توظيف التاريخ كأداة فنية وجمالية وكخطاب يعكس قضايا الذات والمجتمع. وتبرز هذه الأهمية بشكل خاص في رواية البيت الأندلسي التي تمثل نموذجاً بارزاً في استثمار الماضي الأندلسي والجزائري لطرح أسئلة الهوية والمنفى والانتماء.

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1. تحليل كيفية توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي من خلال تقنيات السرد والبناء الزمني والمكاني.

2. استكشاف الأبعاد الرمزية والدلالية التي يكتسبها الحضور التاريخي في الرواية.

3. الكشف عن الوظائف الجمالية والفكرية لتوظيف التاريخ في خدمة القضايا المعاصرة مثل الهوية والمنفى والذاكرة.

4. تسليط الضوء على تجربة واسيني الأعرج في الكتابة الروائية كأنموذج مميز في المزج بين التخيل الأدبي والمرجعية التاريخية.

5. المساهمة في إثراء البحث النقدي المتعلق بالأدب التاريخي والتخيل السرد في الرواية العربية الحديثة.

مدخل

الرواية لغة :

عند الرجوع الى قواميس وأمّهات الكتب العربية المختلفة لتحديد مفهوم الرواية نجد ان هذه اللفظة تظل على التفكير في الامر، وتدلل على نقل الماء وأخذه كما تدل على نقل الخبر والاستظهار "قال الجوهرى رويت الحديق والشعر رواية فأثار في الماء والشعر، نن قوم رواة، ورويتخ الشعر ترويه أي حملته على روايته، وتقول : انشد القصيدة يا هذا، ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها"¹، ولقد جاء في المعجم الوسيط قولهم : " روى على البعير ريا : استسقى، روى القوم عليهم ولهم : استسقى لهم الماء، روى أي حمله عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حمله ونقله ويقال روى عليه الكذب، أي كذب عليه وروى الحبل ريا : أي أنعم فله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي : راوي الحديث أو الشعر حمله وناقله ، والرواية : القصة الطويلة"²

فقد ورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الياء مت الماء بالكسر، ومن اللبن "يروى ريا... ويقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل، فأراد أن درتها تعجل قبل نومه... والرواية المزاود فيها الماء، ويسمى البعير رواية على تسمية الشيء بإسم غيره لقربه منه، والرواية أيضا البعير أو البغل أو الحمار يسقى عليه الماء و الرجل المستقي أيضا رواية...

¹ ابن منظور، قاموس لسان العرب، انتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت، اصدار عام 1995م، برجة وتنظيم طراف خليل طراف مادة "روي"، نقلا عن طبعو دار صادر بيروت، 1990، ص280-281-282.

² ابراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، احمد حسن الزيات، محمد علي النجار، معجم الوسيط، ج1، المكتب الاسلامي للطباعة.

ويقال روي فلان فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه"³. من خلال هذه التعريفات اللغوية نلاحظ أنها نصت أن الرواية في مجموعها عملية الانتقال والحرمان إما المادي "الماء" أو "الروحي" النصوص والأخبار" ، والنوعين كان ذا أهمية في الحياة، فلقد كان الماء الهدف المنشود، وكانت رواية الشعر الضرورة اللازمة لكل شاعر، كما أنها الوسيلة الرواية الأولى لحفظ الأشعار والأخبار والسير.

اصطلاحا :

أما المفهوم الاصطلاحي للرواية فقد أشار الدكتور عبد المالك مرتاض في أمر صعوبة تعريف الرواية بكونها زئبقية المفهوم فقال : "واكف أننا بدون خجل ولا تردد نبادر إلى الرد عن السؤال بعدم القدرة على الإجابة"⁴، وهنا يعني الدكتور ماهي الرواية ؟

كما أن ميخائيل باختين لم يجد التعريف الثابت لها، فهو لم يجد الجواب بسبب تطورها الدائم، إن هذا اللون من الأدب بالإضافة إلى قلدمان : "يعيد النظر في كل الأشكال التي استقر فيها"⁵

صعوبة تعريف الرواية يستدعي منا ذكر بعض التعاريف لبعض الدارسين في هذا الصدد نذكر : من قال بأنها : "هي رواية كلية وشاملة وموضوعية أو ذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع، وتفسح مكان التعايش فيه لأنواع الأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتاعضة جدا"⁶،

³ ابن منظور، المرجع السابق، ص340-345.

⁴ نرتاض عبد المالك ، الرواية جنسا ادبيا، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة و الاعلام ، بغداد، 1986، ص124.

⁵ باختين ميخائيل، الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم جمال شحية، كتاب الفكر العربي³ ، بيروت، 1982، ص66

⁶ العربي عبد الله، الأيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عثمان، دار الحقيقة ، بيروت، 1970، ص31.

وعلى أنها : "فنّ نثري تخيلي طويل نسبيا، بالقياس إلى فن القصة"⁷، ونجد أيضا من قال بأنها :
جنس أدبي يشترك مع الأسطورة و الحكاية... في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف
إنسانية، وتصورها بالعالم من لغة شاعرية، وتتخذ من اللغة النثرية تعبيرا لتصوير الشخصيات، والزمان
والمكان والحدث يكشف عن رؤية للعالم"⁸

ويعرفها إدوارد الخراط بقوله : " الرواية في ضني هي اليوم الشكل الذي يمكن أن يحتوي على الشعر
والموسيقى، وعلى اللوحات التشكيلية، والرواية في ضني عملا حرا، والحرية هي النماذج والموضوعات
الأساسية ومن الصوان المحرف. اللادعة التي تنسل دائما إلى كل ما كتب"⁹، وعرفتها أيضا عزيزة
مريدن بأنها : " هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيزا أكبر، وزمن
أطول، وتتعدد مضامينها، كما هي فب القصة، فيكون منها الروايات العاطفية، الفلسفية، و النفسية
والاجتماعية والتاريخية".¹⁰

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحى ابراهيم نجده قائلا : " الرواية يرد قصصي نثري يصور شخصيات
فردية، من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية تشكيل أدبي جديد، لم تعرفه

⁷ علي نجيب ابراهيم ، جمالية الرواية، ص36 نقلا عت امينة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط1 ، دار الحوار للنشر، سوريا، 1987، ص21.

⁸ سمير سعد حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص297.

⁹ إدوارد الخراط ، الرواية العربية واقع وآفاق، ط1، دار ابن الرش، 1981، ص303 - 304.

¹⁰ عزيزة مريدن، القصة والرواية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1971، ص20.

العصور الكلاسيكية الوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور. الطبقة البرجوازية وما صاحبها من

تحرير الفرد من رقبة التبعات الشخصية".¹¹

وعرفت الأكاديمية الفرنسية أنها : "قصة مصنوعة مكتوبة بالنشر، يثير صاحبها اهتماما بتحليل

العواطف وصف الطباع، وغراب الواقع"¹²

ونجد من عرف الرواية بأنها : "مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلها عدة شخصيات علة مسرح الحياة

الواسع، شاغله وقتا طويلا من الزمن، ويعتبرها بعض الباحثين الصورة الأدبية النثرية التس تطورت عن

الملحمة القديمة"¹³

استنتجا لما سبق نرى أن الرواية هي تلك المرآة العاكسة على صفحاتها كل مظهر الواقع المختلفة،

وعلى أنها تجربة فنية منفردة بإعتبارها مزجا من الخيال النثري مجسد في إبداع الكاتب، يعالج موضوعا

كاملا دون اعتزال القارئ الذي تنزجه إليه ، وقد ألم بحياة البطل والأبطال في مراحل مختلفة.

كما أن الرواية تفتح مجالا واسعا يكشف فيه عن حياة أبطاله وما يصادفهم من حوادث، فهي من

أكثر الفنون الأدبية ارتباطا بالواقع، وأشدّها إلتصاقا بموضوعاته.

¹¹ فتحي ابراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للنشر المتحددين، تونس، 1988، ص60-61، نقلا عن صالح

مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2001-2002، ص30.

¹² مصطفى الصاوي الجويني، في الادب العالمي القصة الرواية، القصة والسيرة، منشأة المعارف الاسكندرية، 2002 ، ص13.

¹³ احمد أبو سعد، فن القصة، ج1، منشورات، دار الشرق الجديدة، 1959، ص25.

أما بخصوص التاريخ فنجد العديد من الاساتذة و العلماء الذين قدموا مفهوما لهذا المصطلح فعرف بأنه علم من العلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة ماضي البشر، كما هو الوثائق التي يعدها المؤرخون عند دراستهم للأحداث الماضية. ونرى أن التاريخ تعدى مرحلة سرد الاحداث الماضية الى مرحلة أخرى ، وهي مرحلة التحليل واستقراء النتائج، واستنباط الأدلة والحقائق.

مفهوم التاريخ :

تدرس مادة التاريخ ضمن المواد العلمية الرئيسية في العلوم الاجتماعية للمراحل الدراسية ما قبل الجامعية، وفي الجامعة تصبح دراسة التاريخ أكثر تخصصا، حيث تمثل تخصصا علميا مستقبلا بذاته في الكليات.

ففي اللغة هو التعريف بالوقت أي وقت حدوث الشيء مثلا : قيام دولة أو سقوطها، فمثلا : عام الفيل، يقال فلان ولد بعد عام الفيل بعامين، وهذا يعود لشهرة الحادثة، أو مثلا في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبح التاريخ الاسلامي بهجرة الرسول صلى الله عليه و سلم...

وعندما نتقل لتقديم مفهوم حول التاريخ نجد العديد والعديد من الباحثين قدموا مفاهيم وتعريفات مختلفة حسب وجهو نظره، مثلا ابن خلدون الذي يعتبر أحد المؤسسين لهذا العام في صورته الحديثة حيث قال : "إن التاريخ في باطنه هو النظر والتحقيق وتعليل الكائنات ومبادئها، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها..." وعلى نهجه سار "فولتير" في فرنسا، وأيضا ما قاله عبد الله العروي المفكر المغربي: "إن التاريخ من صنع المؤرخ، فالمؤرخ هو مز ينتقى من الأحداث التاريخية المحفوظة ليصنع

الأنساق، ويستخلص الحقائق"¹⁴، أما في الغرب فإن التاريخ بحسب كولينغود : "هو الماضي الذي يدرسه المؤرخ، بحيث يكون ما يزال حيا في الزمن الحاضر".

ومن خلال هذه التقديمات نرى أن مفهوم التاريخ متشابه لدى الكثير من العلماء ، وسنرى آراء أخرى لمفهوم التاريخ في كتاب "مفهوم التاريخ عند عبد الله العروي.

" إن مفهوم التاريخ في التدوين التاريخي العربي الاسلامي مفهوم غير واضح ، فقد نشأ من انفصاله عن مفهوم "الخبر"، واتصاله بمفهوم "الزمن" الامر الذي يدل علة تحول في إدراك الماضي من جهة، والوعي بالتغيير من جهه أخرى"¹⁵، وبالتالي المدخل الرئيسي لكل بحث في التاريخ ينطلق من تحديد علاقته بالزمن، وأنز مفهوم التاريخ لم ينشأ كتطور تلقائي لتدوين الأنماط التاريخية من مغازي و حروب وسير بل نشأ على النقيض من ذلك.

كما نجد أيضا في هذا الكتاب بعض المفاهيم المأخوذة من العلماء العرب القدامى، فقد اختلفوا في أصل هذا اللفظ، فبعضهم ذهب به إلى العربية الخالصة، فقال : "إن التاريخ مأخوذ من لفظ الأرخ، بمعنى ولد البقرة الصغيرة لانه يشبه الشيء الحادث : يعني حدث جديد"¹⁶

¹⁴ عبد الله العروي، في مفهوم التاريخ، قسم التاريخ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، ص9 بتصرف.

¹⁵ عبد الله العروي ، المرجع نفسه ، ص11-12

¹⁶ عبد الله العروي ، المرجع نفسه ، ص12

وبعضهم الآخر عزاه إلى الفارسية، فقال : (إنه مأخوذ من "ماه روز" وهو اشتقاق بعيد لا يظهر فيه تقارب بين اللفظين العربي والفارسي، ولكننا نرجع الرأي القائل بعربية الكلمة، وإكنا لا نشار كهم في أنها مأخوذة من الأرخ.

مفهوم الرواية التاريخية :

مما سبق يمكننا القول إذن : أن الرواية التاريخية هي نتيجة إمتزاج التاريخ بالأدب : فالتاريخ كما صرح عبد الحميد القط في كتابه (بناء الرواية في الأدب المصري الحديث) ما هو إلا الحقائق مجردة لوقائع تاريخية معينة سواء كان الأمر يتعلق بالحوادث أو بالشخصيات.

كما نظر إليها أنها ضرب من الرواية يمتزج فيها التاريخ بالخيال، تهدف الرواية التاريخية إلى تصوير عهد من العهود أو حدث من الأحداث، الضخام بأسلوب روائي سائغ مبني على معطيات التاريخ، ولكن من غير تقييد بها أو إلزام لها في كثير من الأحيان، والواقع أن الروايات التاريخية بإستثناء قلة منها قليلة، مثل رواية (الحرب والسلم) لتولستري، لا ترقى من وجهة النظر الفنية إلى مستوى الروائع التي أبدعها روائيو العالم ، وعلى أنه حال فمند صدور أولى الروايات التاريخية، وهي رواية (وايفرلي) لوالتر سكوت walter scott، عام 1814¹⁷ والرواية التاريخية تنعم بشعبية واسعة، ومن أبرز ممثلي هذا الضرب من الرواية بالإضافة إلى والتر سكوت في الإنجليزية وتولستري في الروسية وألكسندر دوما في الفرنسية، وجرجي زيدان في العربية.

¹⁷ معلومات عن الرواية التاريخية على موقع : thes.bncf.firenze.sban.it

كما حاول، العديد من الكتاب تحديد مفهوم الرواية التاريخية، فيعرفها محمد القاضي بأنها : "نص تخيلي نسج حول وقائع وشخصيات تاريخية"، ويذهب المؤلف سعيد يقطين إلى أنها "عمل سردي يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة"، ويرى جورد لوكاتش أنها : "الرواية التاريخية حقيقة، أي الرواية تثير الحاضر ، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق"¹⁸

بناء على ذلك فالرواية التاريخية نمط روائي يجمع بين الفن والتاريخ كما ذكرنا سابقا، فتغدو الأحداث والشخصيات التاريخية أساس البناء الفني الروائي، الذي لا يهدف إلى تقديم معرفة تاريخية محصنة بل يطمح إلى نقل السياق التاريخي من وجهة نظرية تخيلية جمالية، كما أن هذه الرواية المحملة بالتاريخ لا تفضل عن الواقع.

في العموم فإن الرواية مدت جسورها للعديد من الفنون والعلوم كالتاريخ الذي يعد فنا وعلمًا تمازجت معه فنشأ نوع مهم من أنواع الهواية وهو الرواية التاريخية : "رواية تحاول إثارة الحاضر إستنادا إلى ما حدث في الماضي، وقدم المؤرخ صياغة معينة له، وعليه يمكننا القول أن الرواية تهدف من خلال تعاملها مع التاريخ أساسا، إما إلى إعادة بعث ذلك التاريخ وتأكيد قداستها، وإما إلى نقده وتبيان ما أغفله أو تجاوزته".¹⁹

¹⁸ ينظر : مؤرشف من الأصل في 11-12-2019، الرواية التاريخية : المفهوم والنشأة، أمين درواشة، منصة بالعربية، 29 سبتمبر 2019.

¹⁹ فايد محمد، إستحضار التاريخ في الكتابة الروائية لدى واسيني الأعرج من خلال نصه (كتاب الأمير)، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 12، ع2، حزيران 2017، ص75.

كما أن الرواية التاريخية "يتجادلها هاجسان أحدهما الأمانة التاريخية التي تقضي عليها بالأتجا في ما وضعت عليه المصادر التاريخية من قيام الدول وسقوطها، وإندلاع الحروب والوقائع التاريخية، والآخر مقتضيات الفن الروائي من قبل نمط القص"²⁰، لتوطيد الصلة بين الماضي والحاضر.

ومع ظهور الرواية التاريخية أدى هذا إلى إستقطاب وجذب القراء، و أصحاب المثقفين وأرباب الكتابات الروائية، من أجل دراسة أساسيات إستحضار التاريخ في الرواية، وبهذا فإن الرواية التاريخية عد النقاد العرب نجدها عند سمر روعي الفيصل يعرفها بقوله : "إن الرواية التاريخية ليست تاريخاً، ولكنها تتعامل مع التاريخ، وهذا التعامل يفرض عليها حدوداً هي قيودها، وأول هذه الحدود والقيود أن تبقى الرواية مخلصاً لطبيعتها الفنية، ولا تتحول إلى كتاب من كتب التاريخ، وثانيها أن نستعير من التاريخ دون أن تحول فيه، وثالثها أن تبقى دون أن تتلاعب بسياقها وحقائقها ودلالاته".²¹

إذا الرواية التاريخية تختص في التاريخ بشكل أساسي لكن ضمن حدود المحافظة على المصدقية التاريخية والحقائق، ومن بين الكتاب الأوائل الذيم كتبوا في الرواية التاريخية في الأدب العربي سليم البستاني في لبنان رواية (زونيا 1871)، وكتب بعد ذلك، (الهيام في فتوح الشام 1874)، وقد أثر على العديد من الكتاب وحثهم على كتابة الرواية التاريخية، من بينهم جميل نخلة المدور، كتبروايته (حضارة الإسلام في دار السلام عام 1905)، إضافة إلى فرح أنطوان كتب روايته (أور شليم الجديدة عام 1904)..

²⁰ محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار الغرابي، لبنان، بيروت، ط1، 2010.

²¹ سمر روعي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقاربة نقدية، منشورات إتحاد الكتاب العربي دمشق، د.ط، 2003،

ومن إتجه أيضا من أدياننا العرب نحو كتابة الرواية التاريخية : "محمد سعيد العريان في روايات متنوعة أولها : قطر الندى، وعلي أحمد باكثير وأشهلا رواياته التاريخية "وإسلاماه" ونجيب محفوظ في روايات عدة أولها "عبث الأقدار"، ورضوى عاشور في رائعته "ثلاثية غرناطة"، ولا نغفل عن ذكر الكتاب الخالد "ألف ليلة وليلة" الذي كان من أوائل الروايات التاريخية"²²

تختلف أنماط الرواية التاريخية فهي تنطوي على العديد، فهناك الرواية التاريخية السياسية، الرواية التاريخية الاجتماعية، الرواية التاريخية المركزة على مساويء الماضي، من أجل الابتعاد عنه، ومن هذا يبدو أن للرواية التاريخية دورا مهما في حياتنا وحياة مجتمعاتنا، لذا لا بد من أن نقف في هذا السياق عن أهمية الرواية التاريخية فهي :

- تعزيز فهمنا للتاريخ

- تسلط الضوء على المهمشين

- تغيير الواقع

- توفير تجربة قرآنية غنية²³

²² محمد محمد حسن طويل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب الغريبي رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية، غزة، شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، كلية الآداب قسم اللغة العربية، الإثنين 19 جمادى الآخر 1437هـ الموافق ل2016/03/28 ، ص18-19 (بالتصرف)

²³ الرواية التاريخية من جرجي زيدان إلى نجيب محفوظ، جريدة عمان، 2 سبتمبر 2023، ص35.

الفصل الأول
علاقة الرواية بالتاريخ

1- شروط الرواية التاريخية :

بما أن الرواية التاريخية من أنواع الرواية التي تتداخل التاريخ والفن والأجناس الأدبية في بوتقتها إضافة إلى التمازج الواقعي بالمتخيل فيها، وإستنادا إلى مفهومها العام يمكن إستخراج أهم شروطها، وذكرها كالتالي:

- أن تعتمد حقبة موثقة من التاريخ تكون مادتها حكاية.
- أن يعيد الروائي تشكيل هذه المادة تشكيلا روائيا فنيا
- أن يلتزم الروائي بخصائص العصر ملامحه وتقاليده
- إن الرواية التاريخية تعتمد الزمان الموثق والمكان المحدد والحادثة المعروفة فنستثمر جهد المؤلف الذي حقق الواقعة ونتقاطع معه في الوقت ذاته.²⁴
- كأن تكون الحقبة في العصر الأندلسي، حيث يكون وصف الروائي للأماكن (لقصور...)
- والشخصيات الأساسية مناسبة لما ورد في التاريخ.
- كما أن الرواية التاريخية تصف الأحداث من خلال تواطؤ يسمح به السرد والتاريخ إذ الروائي له ذاته الحاضرة وله ماضيه الموضوعي، فهذا التهجين آليه توحى بمدى تمكن الكاتب من كتابة الرواية كونه لا ينقل التاريخ حرفيا وإنما يضيف عليه ويبرز أيديولوجياته من خلاله.²⁵

²⁴ كلثوم بقريش، مطمح الرواية التاريخية عند جورج زيدان رواية غادة كربلاء أنموجا، مذكرة ماستر، أدب عربي، قسم اللغة والآداب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بوضياف المسيلة، الجزائر، من 2015-2016، ص 14-15.

ومن شروطها كذلك : "أولها أن تبقى محافظة على طبيعتها الفنية ولا تتحول إلى كتاب من كتب التاريخ دون أن تحور فيه، ثالثها أن تنتقي من التاريخ دون أن تتلاعب به وبسياقه وحقائقه ودلالاته"²⁶، أما بخصوص اللغة التي يستخدمها الروائي لغة معاصرة حتى لو كانت تعالج مرحلة تاريخية ضاربة من الزمن، لأن بقاء اللغة إستلهاما من وقتها قد يقطع الوصل بين المتلقي والمرسل وهذا يفقد اللغة نظامها التواصلية ووظيفتها التفاعلية، أما بالنسبة لبنائها وشخصياتها يقول : "بوتيديا" لتحديد الرواية بالمعنى الدقيق للكلمة تعني القومل "أن العمل الروائي يكشف في الماضي شخصياتها الرئيسية الخيالية في حين أن الوقائع الحقيقية تشكل عنصرا ثانويا من القضية".²⁷

إذن فالفرق بينها وبين السرد التاريخي هو عنصر التخيل فهي أقرب إلى الإبداع من النقل المباشر، لكن الأصل فيها المرجع التاريخي، واللغة المعاصرة.

"لا يكون تأليف الرواية التاريخية بتكرار ما ورد في المتون القديمة بل :

²⁵ أميرة بحة عائشة فواذر، جدلية الفن التاريخي في رواية ربيع الأندلس لمحمود ماهر، مذكرة ماستر أدب عربي، دراسات أدبية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2021، ص40-41، بتصرف.

²⁶ طال العالية، تخيل التاريخ عند واسيني الأعرج من خلال روايته البيت الأندلسي، ماجستير، نقد مغربي التراث والحداثة، قسم الأدب العربي، كلية الاداب واللغات، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، سنة 2015-2016، ص45.

²⁷ طال العالية، المرجع نفسه، ص53.

1- إعادة صياغة معطياتها صياغة جديدة تكون قابلة للتأويل ويمكنها أن تدرك وتفهم مقاصدها وغاياتها من قبل المتلقين الجدد²⁸ أي يجب على النص أن يلي حاجات القارئ ويجد فيه ما يبحث عنه.

2- اقتراح وجهة نظر معاصرة للمتلقين الجدد وزاوية جديدة مختلفة، وقد تخضع النصوص للتجديد في الأساليب وحتى الترجمة²⁹ لأن اللغة تلعب دورا أساسيا في تلقي القارئ وإذا كانت اللغة لا يتقنها المتلقي تصبح عائقا أمامه (أي عائق لاستيعاب النص)

3- استخلاص نتائج مختلفة وإن تشابهت الأحداث والوقائع بين مراحل تاريخية مختلفة، فالحرب تقع في كل الأزمنة، لكن نتائجها وخصائصها مختلفة باختلاف التنوع الثقافي ومستويات الوعي³⁰، فكل لديه قدرة إستيعاب حسب ثقافته ووعيه والمحيط الذي يعيش فيه.

4- بإضافة جوانب من الشخص البطل -الشخصية- أي نجعل للشخصية البطل إضافات تسلط عليه الضوء وتجعله محط أنظار.

5- إعادة تركيب الوقائع بصورة ساخرة من أجل أن تكتسب قيمتها الجمالية والفنية والأدبية، هذا كله من أجل إعادة صياغة الأحداث بطريقة تجعل القارئ يغوص في غمار التاريخ ويجعله متشوقا بقراءة المزيد.

²⁸ طالب العالية، تخيل التاريخ عند واسيني الأعرج "البيت الأندلسي"، ص 42

²⁹ طالب العالية، المرجع نفسه، ص 43.

³⁰ طالب العالية، المرجع نفسه، ص 43.

رمزية توظيف التاريخ في الرواية :

إذا ذكرنا التاريخ في الرواية فهذا له معنى واحد أن العلاقة بينهما علاقة جدلية يصعب فهمها، لأن الرواية لما ذكرنا فيما سبق هي توثيق لمجموعة أحداث بلسان كاتب روائي في الحاضر لتصير فيما بعد مرجع تاريخي وما يربطهما الروائي والتاريخ هي الخصوصية الجمالية للخطاب الروائي، من حيث إستيعاب المادة التاريخية، وتوظيفها على نسق إيجابي.

كما أنها أيضا علاقة إشكالية لها أبعاد مختلفة وموضوعها متشعب ومحط دراسات نقدية، حيث يعتبر توظيف التاريخ في الرواية الجزائرية ظاهرة أدبية ملفتة، فالروائي يحاول بشكل وبطريقة مباشرة إظهار حقائق مسكوت عنها في الأصل ، ويظهر هذا جليا في الروايات الجزائرية التي غاص فيها الكتاب من عصر الإستعمار، والذي يعتبر المادة الخام لدى الروائيون لأنها تعتبر عن جهادهم ونظالمهم في قضية الشعب، مثل "ثلاثية الجزائر لمحمد ديب" التي عاشت الثورة بتفاصيلها، وثلاثية مولود فوعون "الأرض والدم"، والدروب الوعة التي تحدثت عن طبيعة المجتمع القبائلي ما بعد الثورة، ووصف عاداتهم.

وتقاليدهم وكذا التعايش السلمي بين الجزائريين والفرنسيين في ذلك الوقت".³¹

كما نعلم جميعا أن الرواية الجزائرية تأخرت عن الظهور لعدة أسباب سياسية وإجتماعية في فترة الإستعمار، حيث كانت تمثل نقطة دفاع عن الهوية واللغة حيث : " شهدت الرواية الجزائرية على غرار نظيرتها العربية بالرغم من حدوثها نضجا فنيا، وثورة كبيرة في لغتها السردية، وأثبتت تميزها على

³¹ يحياوي سامية، جدلية الواقعي والجمالي في الرواية الجزائرية، رواية الطوفان لمرتاض أمموزجا، جامعة 20 أوت 1955،

سكيكدة، ص33.

الساحة الأدبية العربية بلغتها الجميلة التي تعتبر أولا وأخيرا عن هويتها التي سلبت منها بعد المسح من أجل استرجاع السيادة المستتلية، وركزوا أكثر على اللغة باعتبارها من مكونات الهوية الوطنية".³²

وهذا ما تطرقنا إليه فيما سبق حينما قلنا أن الإستعمار هو السبب في تأخر ظهور الرواية الجزائرية.

فالحديث عن الماضي هو الحديث عن التاريخ نفسه، وحينما يكتب الكاتب التاريخ في قالب فني وأدبي بإبتكار أساليب وشخصيات خيالية يضيفي على الرواية عنصر التشويق والمتعة، ويتعد عن النقل الحرفي الذي يولد الملل والقراءة، بل هذا الأسلوب يفتح الروائي آفاق القراءة، والتلذذ بالرواية بعدما كانت مجرد سرد لأحداث تاريخية، ومن هذا يتبادر إلينا محاولة معرفة علاقة هذين العنصرين الهامين الروائي والتاريخ.

- العلاقة بين الروائي والتاريخ :

عندما نقول الرواية التاريخية ليس بالضرورة والنقل الحرفي لهذه الأحداث والوقائع، فالرواية التاريخية تختلف كثيرا عن باقي الروايات ، لأن الروائي يستعير شخصيات حقيقته من التاريخ، ويلبسها بعض قطع الخيال لإضفاء جمالية، مع أن أغلبها حقائق تاريخية، وبهذا يصنع الروائي بصماته وإبداعه من جانب الخيال، لكن دون المساس بالأحداث والمبنى.

³² السعيد زعباط، السرد وسلطة اللغة في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"، لواسني الأعرج، مجلة النص، 1، 10 ديسمبر 2011، ص 254.

فلكل مؤرخ وروائي طريقته الخاصة في إستلهاام المادة التاريخية وإستعمالها، "لم تعد وظيفة المؤرخ أن يحلي ماذا حدث؟ وإنما يفسر لماذا حدث ما حدث؟ ويستخدم أدوات البحث العلمي والصرامة المنهجية، وكان على المؤرخ بالتالي أن يكون روائيا يحكي ما هو هنا أقرب ما يكون إلى الروائي".³³

فالمؤرخ يعتمد على التاريخ في تشكيل نصه وفق شروط البحث العلمي حتى يتمكن من تفسير الأحداث التاريخية، ويغوص في أسبابه لكي يصل إلى مرتبة الروائي، لأ،ه يصور المشاهد والأحداث بطريقة روائية، "يأخذ الروائي بالوثيقة ولا يأخذ بها، يرى وراء واقع الوثيقة واقعا مأمولا لا يلتفت إليه المؤرخ ولا يحفل به، ذلك أن المؤرخ مشغول بتدقيق الوثائق ومقارنتها على خلاف الروائي الذي التفى بالإنسان المغترب وقاسمه رغبة بزمن محتمل ينشر السعادة ولا ينظم الإذلال"³⁴. أي أن الروائي لا ينشغل بالتدقيق على غرار المؤرخ، إنما يجد مادته الخام التي يستلهم منها أفكاره.

الرواية التي أساسها التاريخ تنطلق نحو متلف واع بحيثياتها، ومدرك لها، "بل سيكون متحررا منها مقبلا على مراقبة آلية تنفيذ الحدث التاريخ وبلورته، وسيكون متابعا لإضافات الروائي التي يجب ألا تكون على حساب المد التاريخي ومصادقيته".³⁵

³³ قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، دار عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2007، ص15.

³⁴ فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص366.

³⁵ نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006، ص211.

إلا أن الرواية ليست إعادة كتابة التاريخ كما هو، وإلا لما سمينها أو أطلقنا عليها مصطلح الرواية، بل "إنها صورة أخرى لتاريخ من أجل تسهيل قراءته وإستيعابه وإستثماره فالرواية استقيمتن التاريخ نتائجه وحققت في مسلماته، وأكملت ما سكت نه، وصححت ما زيف بطريقة فنية، وهي في حقيقة الأمر تعتمد على مرجعيتين في بناء العمل الروائي:

- مرجعية حقيقية متصلة بالعمل الروائي : (الحكاية) : مرجعية نفعية.

- مرجعية تخيلية مقترنة بالحدث الروائي : (الرواية) : مرجعية دلالية.³⁶

فالروائي يعمل على المادة التاريخية التي أنتجها المؤرخ بإستعمال الخيال في مرحلة إعادة البناء، ويأخذها الموضوع له فيتقدم تركيبا جديدا للأحداث والوقائع، وكذا الظروف والشخصيات التاريخية المتطرق إليها في تلك الحقبة التاريخية من الزمن، مضيفا شخصيات من وحي خياله وإبداعه تخدم المكان والأزمنة واللحظات الإنسانية.

لذلك يجب على الروائي أن يوازن بين المتخيل والتاريخ "إذ هو يسعى أن يكون روائيا ومؤرخا في نفس الوقت، لن يتمكن من إيصال الغاية المقصودة من هذه الرسالة إلا إذا لازمته صفتين أساسيتين في مهمته الروائية:

أولهما : صفة عقلية تاريخية يستطيع بواسطتها إستخلاص الحقيقة التاريخية من سجلات أحداث الماضي العربي الإسلامي، وتبسيط الأفكار من حقيقته المبتغاة.

³⁶ نزال الشمالي، المرجع السابق، ص211.

ثانيهما : قوة الخيال التي يستطيع بواسطتها إستحضار الأحاسيس والمشاعر البشرية، التي إنتابت أهل تلك الأحداث كشاهدة على تفاعلهم معها، وفي هذه الحالة يتم تسليط الخيال على المعلومات المستمدة من الحقيقة التاريخية".³⁷

ومن هذا نستخلص أن الروائي ليس بالضرورة أن يعكس حقيسقة واقعية أو تاريخية مهما حاول إظهار وإبراز ذلك، بل في الأصل هو يحاول التعبير عن آرائه الشخصية التي تعكس أيديولوجيته، وهو في الأخير حربي التلاعب بالتاريخ حسب حاجته وما يخدم نصته، ويجعله مفعما بالنشاط والتسويق والإثارة.

رمزية وجمالية إستحضار التاريخ في الرواية :

غاصت الكتابة الروائي في أعماق التاريخ فجعلت منه قالبا فنيا جماليا يسمح لنا وللمتلقي عموما تحسس وتلذذ تلك القيمة الإبداعية، ذو الأبعاد المتعددة من حيث اللغة والأسلوب... وغيرها، ويعتبر إستحضار التاريخ في الكتابات الروائية السمة الذي طبعت العصر منذ زمن "البستاني" و "جورجي زيدان"، اللذان يكتبات التاريخ على النحو الكلاسيكي حتى تطور أساليب الكتلة الروائية التاريخية وحدائتها.

لم يكن وجود التاريخ في الرواية صدفة بل مقصودا لإزالة الإبهام والغموض عن بعض الأمور المسكوت عنها، ونشر الفهم في وسط المجتمع، فالروائي إستحضر التاريخ في الرواية من أجل تحصيل الفهم

³⁷ فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المرجع السابق، ص365.

وإيضاح الصورة للمتلقى بإستعمال العنصر الفني والسردى للرواية، بما يجعله يرتبط الماضي بالحاضر بسلسلة، "ومقابلة الواقع بالتاريخ من بين مبررات تحصيل الفهم، فقد يحدث الواقع ملتباً ي أحتاين كثيرة وتفسيره لا يتحقق تبعاً لمتناقضاته ولا تبعاً لملاساته فيكون التاريخ منهجية لتفسير الواقع وتأكيد فهمه وعليه فإن طبيعة المدة التاريخية هنا تتحدد في قابلية فهم الواقع وكشف متناقضاته وتأكيد التغيير"³⁸، ومن هذا يمكننا القول أن التاريخ أصل الحضارة ولم يكن دون سبب إنما هو وليد الواقع المعاش.

اللغة هي العمود الفقري لكل عمل أدبي فقد ساهمت بشكل فعال في نجاح هذه الأخيرة، كونها لا تبرز مهارات الروائي فقط بل أيضاً تلعب على أوتار التحكم في الألفاظ والتعابير المجازية والتشبيهات... وغيرها، فاللغة لن تسهم في كشف الأبعاد الدرامية للموضوع المتناول بيد أنه لا يمكن للمؤلف الواقعي الجيد أن يفصل اللغة عن الأسلوب الذي ينفذ إلى عمق طبقات العمل الفني، وفي هذه الحالة نتحدث عن المهارة اللغوية"³⁹

فالرواية جنس أدبي تجمع في ثناياها العديد من الأنواع الأدبية، والرواية التاريخية تستغل هذا التداخل لصالحها في توظيف التاريخ فهي "تستغل الأجناس الأدبية من التراث بوصفها صيغ التذكر التاريخي لإستكشاف الطرائق التي لا يزال م الممكن إعادة إحضار الماضي المرغوب فيه والضروري..."⁴⁰

³⁸ فتحي بوخالفة، شعرية القراءة في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إريد-الأردن، د.ط، 2010، ص174.

³⁹ واسيني الأعرج، إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتابات، د.ط، الجزائر، 1986، ص92.

⁴⁰ كيث ميتشل، التاريخ والذاكرة الثقافية في الرواية الفيكترية الجديدة، ط1، دمشق، سوريا، 2015، ص308.

بهذا يظهر لنا ويتضح مدى جمالية ورمزية إستعمالها للتاريخ وتمثيله في الرواية حيث يجعلنا نرسم صورة ذهنية للوقائع والأحداث، وهذا التدخل لا يكون بالأحداث وحدها وإدخالها حيز الحدث الروائي، بل أيضا تساهم الشخصيات، الزمان ، المكان... وهذا في غاية الصعوبة.

لذلك "ارتفع الإهتمام بالكتابة التاريخية إلى درجة المقاربة للإهتمام التقليدي بالأدب لأن الفرد والخاصة أصبحوا مجال التخيل بإستحضار الحي للتفاصيل وتذكيره على الناس العاديين الذين لم يسجل حياتهم في سجلات التاريخ..."⁴¹

وبهذا يمكننا إستخلاص أن للتاريخ والرواية مكانة خاصة عند النقاد، نظرا لمكانتهما الكبيرة في الأدب لما لهما أيضا من جمال فني وأدبي ناتج عن تجانسهما وإنسجامهما من خلال الشخصيات وباقي العناصر التي تجعل عنصر التخيل حاضرا في ذاكرة المتلقي، وإندماجها بالواقع، بإعتبارها الرواية تعبيراً عنه، ولكون التاريخ حقبة عشت وإنتهت، فإن لهما نقطة مفترقة، وتعتبر نقطة إتصال وهي الإلتفات للجزئيات التي عقل عنها.

⁴¹ كيث كيتشل، المرجع السابق، ص44.

الفصل الثاني

رمزية توظيف التاريخ في
الرواية

تمهيد :

بعد أن انتهينا من الجانب النظري في بداية عملنا هذا المتواضع ، ننتقل إلى الجزء المشوق والذي سنتحدث فيه عن رواية غنية عن التعريف ، لكاتب أنار اسمه عالم الأدب الجزائري " واسيني الأعرج " و التي كانت من بين الأعمال الأدبية المتميزة التي تناولت أحداثا تقرأها و أنت متشوق لما بعدها ، انتقى الكاتب و الروائي طريقة سرد تجعل جمال الرواية بارزا و محط دراسات لدى الروائيين و الكتاب و النقاد على حد سواء ، و نحن هنا نتحدث عن " بيت الأندلس " . في هذه الرحلة سنتطرق إلى بعض جوانب الرواية لأنه إذا قلنا سنتطرق للرواية فحتما نكون مخطئين و محققين بحقها لأنها قامة من قامات الروايات الجزائرية ، فيما يفوق أربعمئة صفحة ، و في بحث متواضع كالذي بين أيدينا لا يمكننا أن نفيها حقها . فلامسنا بعض الجوانب التي أمكننا استطلاعها و ما يهمنا في دراستنا النقدية لهذه الرواية الأساسية و فقط . و بهذا سنتطرق لماهية العنوان ، الشخصيات ، سياق الرواية من خلال دراسة : السكن ، الحضارات ، تاريخها ، وغيرها .

1- لمحة عن رواية البيت الأندلسي :

رواية البيت الأندلسي هي أحد أشهر أعمال الكاتب الروائي و الأكاديمي و الأديب "واسيني الأعرج " ، و يعتبر من أحد أشهر كتاب الرواية العربية و الفرنسية على حد سواء و قد لاقت هذه الرواية و العمل الفني شهرة كبيرة في الأوساط الثقافية و العامية الجزائرية ، و قد حققت مبيعات ضخمة بسبب صيتها الذي ذاع في الوطن العربي ككل .

نشرت رواية البيت الأندلسي لأول مرة في بيروت عام 2010م و كانت هذه الرواية هي السابعة عشر من الروايات و الأعمال الكتابية التي صدرت للكاتب الجزائري "واسيني الأعرج " .

و في هذه الرواية تحدث الكاتب عن الأندلس و تاريخها و ما حدث فيها من مآسي جزاء سقوط المحاكم و غيرها ، كما يحكي أيضا عن معاناة الموريسكيين و كعادة واسيني فما أغلب أعماله فإنه يتحدث عن تاريخ الجزائر ، و ما حدث فيها من فساد ، و ذكره للثورة أيضا.

كما يمكننا القول في الأخير أن " روية البيت الأندلسي " هي رواية تاريخية تسرد تاريخ الأندلسيين و تهجيرهم ، قام من خلالها واسيني الأعرج بسرد تاريخ و أصول عائلته الموريسكية ، قام بتسليط الضوء على أهم القضايا التي تدور في المجتمع الجزائري من محاولة لطمس الهوية ، و الموروث التاريخي على حساب المصالح الشخصية ، فقد حاول إبراز أهمية التراث و كيفية الحفاظ عليه من خلال تناول

للقضية الأندلسية ، و ربطها بالحاضر بصورة تجديدية " تخيلية التي أظهرت صورة التاريخ و أهمية في الرواية الجزائرية .⁴²

العنوان :

أول خطوة في أي عمل مهما كان نوعه ما يشدنا هو اسم العمل أو بالأحرى عنوانه ، فهو الذي يلفت انتباه القارئ ، و يحفزه على قراءة و استكشاف العمل الأدبي ، و ذلك لما لغموضه ، أو لجماليته ، و نحن بين يدينا عمل بعنوان " البيت الأندلسي " سنحاول أن نعرف دلالة و ماهية هذا العنوان .

فالعنوان هو علامة لغوية تدل على جنس العمل الأدبي و يدل على مضمونه يختاره المؤلف بشكل مدروس و مقصود ، فهو الرسالة الأولى التي تدخل القارئ إلى عوالم النص ، و له أهمية كبيرة ذكرتها الدكتورة عالية مبارك حسين في سيميائية العنوان ، " تتمثل بأنه الضرورة الملحة و المطلب الأساسي ، و الذي لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص ، و تظهر أكثر أهمية العنوان فيما يثيره من تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل . فهو يحفز القارئ على مواصلة القراءة بشغف "⁴³ قد يشكل العنوان حيزا هاما في اعتبارات النقاد ، فأصبحت دراسة العنوان في الروايات من أهم الدراسات النقدية الحديثة فهو نافذة النص على العالم.

⁴² بتصرف من موقع : <https://dz.msila.univ.dspace/> للطلبة : أسماء زيامة - ياسمين غرابوي - أحمد أمين

بوضياف .

⁴³ شعيب حليفي ، إستراتيجية العنوان في الرواية العربية ، 1996 ، مجلة الكرمل ، اتحاد كتاب فلسطين ، فبرص ، ص 91

فرمزية عنوان البيت الأندلسي تخفي العديد من الحقائق فالعنوان سمة فنية امتازت بها روايات (الأعرج) ، في كونها تتناسق مع المحتوى النصي للرواية ، و لم يأت هذا العنوان عبثاً ، إنما بعد دراية طويلة و خبرة ، و في هذه الدراسة يأتي الباحث لإلى دلالة العنوان الرئيسي " البيت الأندلسي " و انعكاسه على المضمون داخل النص الروائي ، و يتقن الإيحاءات التي لجأ إليها الكاتب ، و الغرض منها ، و بهذا سيلجأ الباحث للبحث عن العلاقة التي تجمع بين العناوين الفرعية و العنوان الرئيسي ففي رواية البيت الأندلسي تنقسم العناوين إلى قسمين :

1- العنوان الرئيسي الموسوم ب " البيت الأندلسي "

2- العناوين الفرعية ، و التي تتجزأ إلى جزأين هما :

أ- العناوين الكلاسيكية : و هي التي نهج الكاتب من خلالها عناوين الكتب القديمة ، و تسمى العناوين الشارحة أي المفسرة للأحداث التي سيأتي القارئ إلى ذكرها .

ب- العناوين الفرعية الدلالية : و هي عناوين تضمنت الحديث عن العصر الحاضر الذي يعيشه السارد ، و هي دارجة في الكثير من الروايات .

1- العنوان الرئيسي :

يتألق العنوان في الرواية من مكون مكاني ينقسم إلى كلمتين: "البيت" و "الأندلسي"، ويعرف البيت بالمكان الذي يعيش فيه الإنسان، فقد ورد في لسان العرب: "بيت الرجل داره، وبيته قصره والبيت من أبيات الشعر سمي بيتا...."⁴⁴

أو يصنف عنوان "البيت الأندلسي" ضمن العناوين "الموضوعاتية" التي تشير إلى محتوى النص أو لها علاقة بموضوعه، حيث كان موضوع البيت الذي بناه "غاليليو" محورا رئيسيا من محاور النص الروائي، فأحداث الرواية يخبر أيها تضمنت حديثا حول البيت كفضاء مكاني⁴⁵.

تبدأ الرواية بمقولة تبسيط الكاتب إلى جدة (غاليليو) ويث من الشعر للشاعر الأندلسي (أبو البقاء الرندي)، وفيهما يعبر الكاتب عن أهمية البيت ودلالته، فعبارة "غاليليو" استمدتها من قول (مراد باسطا) في توشيته معبرا عن حال سيدة تعرضت إلى انتهاك شرفها: "ظلت تحفظ الوصية الخرافية: إن البيوت الخالية تموت يتيمة"⁴⁶، إشارة إلى الأحداث التي ستلحق بالبيت الأندلسي، والذي ستنتهي بهدمه وبناء مساكن مكانه كما ترك مجالا للتشويق إلى مستقبل البيت الأندلسي ...

⁴⁴ ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، م2. ص14 ، مادة بيت .

⁴⁵ حسني زهير حسني مليطات ، رواية البيت الأندلسي ، دراسة نقدية تحليلية ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا .
نوقشت 20 11 2014 درجة ماجستير ، نابلس ، فلسطين ، ص 65 (بتصرف)

⁴⁶ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص 31

كما أورد الكاتب بيتا من نونية (أبو البقاء الندي) يرثى منها الأندلس ، فيقول: "وهذه الدار لا تبقى على أحد و لا يدوم على حال لها شأن"⁴⁷.

و بهذا استخلص رثاء بيت الأندلس كيف كان ، و كيف أصبح حاله بعد تعميره و ازدهاره بساكنيه ، و مع مرور الزمن سنعود الأمر إلى نصابها ، و بيت خال لا روح و لا ريحان فيه .

القارئ لهذه الرواية يجد أن هذا العنصر أخذ حيزا كبيرا - الحديث عن البيت روافده - من النص ن و ظهر ذلك في صورتين - أولاها ذكر أصول البيت الأندلسي ، و ذلك ما ظهر في أوراق (سيدي أحمد بن خليل) ، و ثانيها المرأة العاكسة لدلالة البيت ، فنقلنا من خلالها الواقع المعاصر الذي يعيشه ، و الذي جاء على لسان (مراد باسط) .

و كل هذه سنتطرق إليه ، و سنحاول الإلمام بالكم من المعلومات التي يمكننا الإلمام بها .

غرناطة كانت البداية منها ، و العمار الأندلسي الجذاب الذي سكن و استوطن قلب (غاليليو) ، و زوجته (جنا سلطانه) ، حيث ذكر في مبعوثه لمحبوبته ، و عشرة قلبه قبل الرحيل إلى الجزائر ، متذكرا بعض الزيارات غلى بيوت غرناطة

نال إعجابهما واحد منهما : " عشقين البيت مثلي ، حتى أصبحنا تزوره كلما تمكنا من ذلك ، و لم تمنعنا لا الهضبة التي كان علينا تسلقها ، و لا الأشجار التي اندفن في عمقها ، و لا أصحاب البيت

⁴⁷ المقري ، أحمد لن محمد الطيب من غصن لسان الرطيب ، إحسان عباس ، م4 ، بيروت دار صادر ، 1968 ، ص 487

الذي طلبنا منهم أن يسمحوا لنا بالدخول ، فدخلنا ، فحفظنا كل تفاصيله الداخلية"⁴⁸، فأصبح البيت الأندلسي المكان الراسخ في ذهن (غاليليو) ، حتى جاء الجزائر ، و التقى (حميد كروغلي) الذي له بيت خرب مطل على البحر، و أرضا تابعة له ، يقول غاليليو : " قال لي عندما عرف أنني كنت من المرحلين ، بأنه لن يجد مشتريا أحسن مني ، قطعة الأرض و ما عليها " ⁴⁹ و بعد عام أصبح البيت و الأرض معا ملكا (لغاليليو) ، أصل البيت خربة يثبت على بقايا معبد روماني : " الخربة بنيت على بقايا معبد روماني قديم حوله المسلمون اللاحقون إلى مركز متقدم لحراسة السواحل ، قبل أن ينشأ بالجوار منه مقام سمي الولي سيدي قارة بلال " . ⁵⁰

كما بنيت معالم رومانية ميزته ، كالأقواس المزينة بالكتابات العربية المختلفة ، و ساحته الممتلئة بأشجار الرمان و البرتقال و التفاح . و مع ذلك ذهب (غاليليو) لتجسيد كل المعالم الحاضرة في ذهنه من المعمار الأندلسي في ذلك البيت بمساعدة صديقه (ميمون البلنسي) : " حافظت على أشجار الرمان و البرتقال و التفاح التي وجدتها ، و أعدت تقليمها ، و غرست بجانبها برتقال بلنسية و ليمونها ، سلمني النقلة ميمون البلنسي الذي كان يحتفظ بالكثير منها . و تفاح المارية ، و مسك الليل الأشبيلي ، و ياسمين غرناطة و البنفسج البري الذي كانت تزخر به جبال البشرات في فصل الربيع .

⁴⁸ أعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص 93

⁴⁹ المرجع نفسه ، ص 155

⁵⁰ المرجع نفسه ، ص 158

و بكل هذا أراد (غاليليو) أن يعيد عبق بساتين غرناطة التي تركت فيه أثرا لا يمحي، ليجد سعادته حين قال: "كلما دخلت البستان، بعد تعب العمل اليومي، تذكرت بساتين غرناطة، شعرت كأني لم أكن غريب"، و بهذا أصبح القضاء في خلده و البيت المأوى الذي حلم أن يكمل حياته فيه، وبهذا يبقى هذا البيت الذي نشأ على خطى البيت الأندلسي الذي اكتشفه (غاليليو) و عزيزته (حنا السلطانة) في غرناطة، بمساعدة مالطي مرتد المهندس الذي أقامه من خبرة، محافظا على معالمه الرومانية الذي يصبح معلم حضاري بامتياز فيما بعد.

وبهذا توضح معالم و تضاريس بيت الأندلس، لكن لم يكتفي واسيني الأعرج بهذا فقط بل ذهب أيضا لذكر تفاصيل أخرى تروي لنا بعض تفاصيل المكان من الداخل، ولكن بشكل موجز، فهو لم يصفه إلا في عدد من الصفحات، فذهب إلى وصف غرف البيت، واتصالها بحديقته، كما ذكر أيضا الممر السري الذي كانت فيه المخطوفة، فيقول "مراد باسطا" في ذلك: (يتسرب ذلك شيئا فشيئا، قبل أن يعم كل الغرف التي تتكون منها البيت الأندلسي، الصالة الكبرى بكل ملحقاتها، التي كانت تفتح على الحديقة قبل أن يغطيها حائط سميك، دار الضيافة المكونة من صالة واسعة، وأربعة بيوت صغيرة مجهزة بكل المتفغات الصحية، المطبخ الواسع الذي يفتح على الحديقة بمخادعه المتعددة التي كثيرا ما كانت تخصص لخاصة الضيوف، الحمامات التي تحوي على مغاطس روماني" 51.

كل هذا الوصف يبين معالم الرسم الأندلسي و ثرائه التي كانت موجودة في حي القصبة الجزائرية، حيث أخذ الوصف حيذا وهذا هوية و جوهر كتابة هذه الرواية، فهذا الوصف جاء وهدفه الأسمى هو

51 الأعرج وسيني، البيت الأندلسي، المرجع السابق، ص 54

إدراك جمالية التراث ، وواسيني الأعرج يرى أن البيت الأندلسي وجد في مكان زاهر وغني بالمعالم التراثية ، لكنها و للأسف بدأت تتلاشى على يد أصحابها و إهمالهم ، وهذا ما جاءت به عذراوي سليمة حين قالت : "ويرى(واسيني الأعرج) أن البيت الأندلسي وجد في حي غني بالمعالم التراثية الزاهرة ، إلا أنها بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً على يد أصحابها ، و قد تعرضت إلى الكثير من الانتهاكات ، ويؤكد أن الرواية تشتغل على موضوع حساس هو التراث"⁵² .

والبيت الأندلسي مثال عن هوية وطنية لشعب عاش على أمل عودة بيوت أجداده الأندلسيين.

12- العناوين الكلاسيكية(الشارحة):

تميزت رواية"البيت الأندلسي"عن غيرها من الروايات (واسيني) بنوعين من العناوين، الأول:"العناوين الكلاسيكية" ، التي تظهر ثقافة الكاتب المستمدة من كتب التراث العربي القديم،و كانت سمتها الرئيسية السجع المنمق و الطول،وهذا ما جعل واسيني الأعرج يذهب لاستعمالها، لأنها تتناسب مع فكرة المخطوطة التي عثر عليها جده (غاليليو) التي أضفت سحرا إبداعيا مماثل ليغوص القراء ،وعلى هذا نهج (واسيني الأعرج) إلى كتابة عناوين روائية الفرعية ، والمقتصرة على أوراق (سيدي أحمد بن غاليليو،و ابنته).

⁵² ينظر ، عذراوي أسامة ، واسيني الأعرج يفتح باب بيته الأندلسي و ييوح بشيء من سر الكتابة " ، جريدة الدستور ، الأردن

تمثلت العناوين الكلاسيكية في رواية "البيت الأندلسي" في اثنتي عشر ورقة ، عشرة منها تسببت إلى (ماريانا بلاثيوس بن خليل) و أخرى لسارد مجهول، ويغلب على عناوينها الطولو الشر ح المفصل للأحداث اللاحقة داخل الورقة كما يظهر الزمن السردى لكل جزء منها.

على سبيل المثال "الورقة السادسة "تبدأ كما يلي: شتاء 1575 وتروي عن أهوال رحلة هليو كا، واتجاه الرخو منها ، خروج الرايس حميد كروغلي و بحارته سالمين من العواصف البحرية، و لانتشاء لالة سلطنة و لالة مريم في البيت الأندلسي، وتأسيس فرقة جاهر كا ،أولاكاسا أندولوسيا للموسيقى..⁵³، هذا ما ذكرناه سابقا هو طول العنوان داخل الورقة، ويعود إختيار طول العنوان داخل النص الروائي ، "لاستيفاء المعنى ،وتقريب الدلالة إلى الفهم المتلقي"⁵⁴ ، وهذا يوضح التفاصيل التي سيأتي الكاتب لذكرها ، ويعمل على تشويق القارئ للأحداث الموالية.

اعتمد (واسيني الأعرج) في استعمال مثل هذه العناوين على كتب التراث القديم ، وجاءت العناوين الكلاسيكية-الشارحة- داخل رواية استكمالا للتوظيف الرمزي الذي استخدمه الكاتب ، لإبراز الهدف الاسمي من كتابة "البيت الأندلسي" و التي كانت تعبر عن حب واسيني الأعرج لجده المورسلي الذي وجد من تاريخ حياته مادة تستحق الكتابة ، وتبان أصالته وعراقته للكتابة الإبداعية التي اتصف بها العرب الكتاب القدامى ، تاركا بذلك جمال المعالم الأندلس من خلال بناء البيت، بغية

⁵³ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق، ص 185

⁵⁴ حليفي شعيب ، النص الموازي للرواية (إستراتيجية العنوان) ، ص 86

إظهار مكامن هذا إكمال للقارئ، و يؤس الأحداث التي لحقت البيت في أوراق (مارينا) ، وفصول (مراد باسطة).

3- العناوين الموسيقية - الدلالية :-

الموسيقى من الفنون الأدائية التي تركت أثرا في نفوس السامعين ونسجها إبداعيا في صفحات الأدباء ، فقد ذهب العديد من الكتاب العرب إلى توظيف الفن الموسيقي في كتاباتهم الأدبية و الفكرية و المؤلف (إسبني الأعرج) ممن اهتموا باستحضار النوتات الموسيقية، فقد كان شغوبا بالفن الموسيقي الأندلسي ، فهو يذكره بالحنين لبلاد جده الموريسكي ، و ظهر ذلك جليا في عدة روايات من رواياته (كرمل المائة) والتي بين أيدينا " البيت الأندلسي " .

فرواية "البيت الأندلسي" تحظى بعدد من السمات الفنية الإبداعية ، التي جعلت منها نصا أدبيا مليء بالثقافات الإنسانية المتنوعة ، فيجد مثلا استخبار (مانسيكا) ، و مقدمتي الرواية ، وخمسة فصول فالإستخبار مقدمة تمهيدية للنوعية الأندلسية ، "قصد من ورائها شد انتباه المستمع وإدخاله في الموسيقى" 55، فالإستخبار الروائي تلخيص الأحداث التي سيأتي ذكرها بالتفصيل في الفصول القادمة من الرواية، إذ جاء في إستخبار (ماسيكا) المكان الأول الذي عثر فيه على مخطوطة (سيدي أحمد بن خليل)، فتقول: "عندما ذهبت إلى إسبانيا ، بحثت في وثائق الإسكوريال ومكتبة طوليدو القديمة عما

55 الأعرج واسبني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق، ص 7

ذكره (غاليليو) عن حياته و عن تهجير الموسيكيين و المارانينيين....⁵⁶، فهذا أوضح حبها وشوقها الدفين لمخطوطة (غاليليو)، التي كانت العصر الذي عاشه أجدادها الموريسكسون، وأنها رتبت أوراق المخطوطة، "قضيت وقتا كبيرا أُللم هذه التفاصيل الضائعة بالتسجيل المباشر معه، والكتابة والتدوين، وحتى البحث، وها أنا ذي اليوم، أفرجها إلى الوجود كما اشتهاها -مراد باسطا- قبل أ، يغمض عينيه على حافة خليج الغرباء"⁵⁷، وبهذا جاء الاستخبار بطابق معناه الموسيقى بغية تشويق القارئ وإثارة فضوله.

و نجد أيضا توشية (مراد باسطا)، قمعني التوشية هي من المقدمات الموسيقية التي تستهل بها القصائد، فجاءت في الرواية تمهيدا يعبر فيه السارد عن حبه وشوقه "للبيت الأندلسي" وينتقل (مراد باسطا) في توشيته عن سر تسميته بهذا الاسم .

كما نجد أيضا نوبة خليج الغرباء: و النوبة معناها: "القلب الموسيقي المتعارف عليه في الموسيقى الأندلسية، وهو يتكون من عناصر أساسية هي المقدمة بأقسامها، و الميازين الخمسة بما تحتويه من صنائع"⁵⁸.

⁵⁶ الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، المرجع السابق، ص 17

⁵⁷ المرجع نفسه، ص 22

⁵⁸ عبد الجليل بن عبد العزيز، الميزان في الموسيقى الأندلسية، العراق، مجلة التراث الشعبي، 11p، ع8، 1980 م،

فنرى "خليج الغرباء" مفهوم يوحي إلى مكان، بناء على ما قاله (مراد باسطا): "لفحات البرد القارص الآتية من الجهة الغربية ،من خليج الغرباء، أيقضتني نهائيا من غفوتي الفجرية ،انعطفت عن الدوار، ثم عدت على أعقابى، كان السواد قد ابتلع كل شيء بما في ذلك خليج الغرباء...".⁵⁹

كما نجد أيضا وصلة الخيبة ،حيث تصنف الوصلة ضمن الفنون الموسيقية الشرقية ،ومعناها اللغوي: "مقطوعات متصلة ببعضها ...وتعرف في الشرق باسم "الوصلة" و يناطها في بلاد المغرب "النوبة" الأندلسية ،وهي تمثل نظاما خاصا في تتابع المقطوعات الغنائية الموسيقية...وتؤدي وظيفة فنية ونفسية مهمة في تأكيد المقام ،وتهيته مزاج العازف و المستمعين ليوافق هذا المقام...".⁶⁰، فواسيني يشير في هامش الصفحة الأولى للفصل الثاني إلى معنى الوصلة بقوله: "الوصلة في الموسيقى الأندلسية هي المقطوعة الرابطة بين إيقاعين مختلفتين ،منها وصلة زيدان مثلا، التي تعطي نوعا من السلاسة للإيقاع الموسيقي في مجموعة"⁶¹.

فهنا تعمد واسيني الأعرج إدخالها في البيت الأندلسي، فالوصل هنا تعني (مراد باسطا) واستمراره في الحديث عن الأحداث ،أما الخيبة فتعني الحرمان و الخسران، فخاب يخيب خيبة ،حرم ولم ينل مطلبه"⁶²، وبهذا تفهم مقصود الفصل، أي الحرمان الذي كان يصاحب (مراد باسطا) ،بمعنى لم يحصل على حماية للبيت الأندلسي .

59 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي، المرجع السابق ، ص 37 39

60 الخولي سمحة ، الاحتمال و تقاليده في الموسيقى العربية ، مجلة عالم الفكر 6p ، ع1 ، 1975 م ، ص 20

61 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع نفسه، ص 103

62 ابن منظور و لسان العرب ، p1، ص 368 ، مادة خيب

وفي هذا توضيح شامل وحديث عن محاولات (مراد باسطا) في استرجاع البيت الأندلسي و الحفاظ عليه ،بعد أن قررت البلدية هدمه ،وبناء برج سكني مكانه ،والحديث عن المغامرات التي قام بها (كريمو) لإثبات أن أحقيته بالبيت ..وعدم هدمه لأنه يعتبر تراث البلاد ،والحضارة،و لكن مع الأسف جميع المحاولات باءت بالفشل الذريع و الحيبة الكبرى.

و في فصل آخر نجد مقام الرماد ،فمعنى "مقام" في الموسيقى العربية مجموعة من الأصوات الموسيقية مرتبة ترتيبا خاصا ، تجعلها ذات طابع و لون لحنى معين ، أما "الرماد" فهو مكون من شيء آخر يعني : "دقاق الفحم من حراقة النار ، و ماهيا من الجمر فطار دقاقا " ⁶³،و معناه زوال الشيء ، و بقاء اثر ، ففي هذا الفصل نجد حديثا عن "الحرب الأهلية الإسبانية " التي كونت معنى الرماد في نفس (مراد بسطا) ،فيقول : "على الرغم من الرماد الذي يملأ حلقي و عيني ، شيء ملتبس كنت أشعر به ، بين اكتشاف مدينة أجدادي ن و الموت فيها " ⁶⁴،لأنه تذكر حرب البشترات التي خاضها مع جده ، و الدمار الذي صار بغرناطة ، و أحداث أخرى جرت بالبيت الأندلسي كحرقه - حرق بعض روافده كالبيانو - ، و قلع الشجار و خلع البلاط ... إلى غيرها من الأحداث .

و أخيرا نجد في آخر فصل لمسة سيكا الناعمة : و هو آخر عنوان في الفصل الأخير ، و يعني (لمسة إنقاذ المخطوطة) التي كانت على يد (ماسيكا) أثناء الحريق الذي نشب داخل البيت الأندلسي ، و انتهى بإنقاذ المخطوطة سليمة من يد (باسطا) الذي أشعل فيها النار حرقه و غضبا لما أل إليه البيت

⁶³ ابن منظور ، لسان العرب ، م 3 ، ص 185 ، مادة (رمذ)

⁶⁴ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق، ص 328

الأندلسي، فيقول مراد: "فجأة رأيت (ماسيكا) تسحب المخطوطة مشتعلة في يده ، تحرق أصابعها الناعمة ، و تمنعها من التحول إلى رماد ، بإطفائها بأصابعها الناعمة التي انتفخت بسرعة قبل أن تتردم المخطوطة تحت التراب "65 .

و هكذا تكتمل فصول الرواية بجميع عناونها ، و حولنا تقديم شرح قدر المستطاع لإزالة الإبهام عنها ، و توضيح صلتها و الغرض من توظيفها في الرواية ، و بيان روافد البيت الأندلسي ، و إحداث تناسق و شغف في نفس الوقت ، و تشويق للخوض في غمار أحداث رواية "البيت الأندلسي".

2- الشخصيات

من عناصر الرواية الأساسية "الشخصيات" التي تقود غمار هذه المغامرة ، سواء كانت حقيقية أو من خيال روائي للكاتب ، ففي الرواية التي نتحدث عنها وظف واسيني العرج شخصيات تتسم بحضور لافت في التاريخ الأندلسي ، فكان البعض حقيقي ن و البعض من خياله الواسع ...

أ- سيدي أحمد بن غاليليو الروخو:

تمثل هذه الشخصية الدور الرئيسي في الزمن التاريخي للرواية ، فهو بطلها ، و ساردها ، فالروخو هو اسم عائلة جده من أمه (رمضان الروخو) ، و (غاليليو) مأخوذة من (benegeli)، فأعطى الكاتب الكثير من صفات جده الحقيقي لشخصية (سيدي أحمد بن غاليليو) ، فنقول: "أعطيت سيدي احمد الكثير من صفات جدي التي أعدت بناءها ، و لست معنيا أيضا إذا كانت حقيقية أم

65 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 446

لا ، المهم أني أدخلته في جلد جدي ، و منحته حياة روائية ربما كنت أول من يصدقها على اعتبارها حالة كتابية "66. فتشير كل من * (ماسيكا) و * (مارينا) أن شخصيات سيدي أحمد بن غاليليو و سيدي أحمد بن خليل هما نفس الشخصية ، و هذا الاختلاف البسيط عائد إلى نطق الحروف فنجد: " فالاسم العربي لغاليليو هم تقريبا نفسه مع بعض تحويل الراجع أصلا إلى النطق الإسباني : سيدي أحمد بن خليل ؟ الجيم الإسبانية تنطق حرف الحاء "67 ، كما أيضا تقول (سيلينا) واصفة حالة والدتها : " فتشت الكتاب كلمة كلمة ، نفسا نفسا ، رعشة رعشة ، فعرفت بسهولة أن الرجل الذي كان يروي في دون كيخوته لم يكن في النهاية إلا والدها ن أية مسافة في التسمية بين سيد حامد بن أغلي ، و بين سيد أحمد بن خليل ؟ إلا مسافة النطق الإسباني الذي غير من اصل التسمية "68 .

فواسيني العرج من خلال رواياته تعتمد اللعب بشخصيات من اجل أن يجعلها إستشراقا روائيا ، فجعل أيضا (سرفانتس) شخصية ثانوية فيها ، و هذا من أجل اللعب الفني ، فيقول سرفانتس : " وسيلتي بعدم نسيانك هو أن أضعك في قلب الحروف المقبلة يا سيدها من بينخلي ، فقال " سيدي أحمد بن غاليليو: سيدي أحمد بن خليل ، أو غاليليو أسهل عليك و على من يسمعك ، فقال ضاحكا : لا. أنت لست غاليليو . أنا مصر أنك سد هامت بينخلي. ستكون سيد حروفي القادمة ، و لهذا

66 ينظر عذراوي سليمة ، واسيني الأعرج يفتح باب " بيته الأندلسي " و ييوح بشيء من ستر الكتابة ، جريدة الدستور ، الأردن ، 15 10 2010 م

67 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 18

* شخصية محورية في الرواية امتازت بحبها المخطوطة (غاليليو)

* شخصية ثانوية في الرواية ، الابنة الوحيدة لغاليليو ، تعرفنا عليها من خلال ابنها (سيليا) الساردة في إحدى الأوراق التي وجدت في البيت الأندلسي .

68 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع نفسه ، ص 389 .

سأحتفظ باسمك كما اشتهيته أنا ، لا كما تريد أنت ، فهو مني ، وفيه من روحك"⁶⁹، وبهذا لعب الكاتب بعقل القارئ فأوهمه بوجود مخطوط قديم كتبه (سيدي أحمد بن غاليليو) ، معتمدا على تاريخ (سرفانتس) في الجزائر ، عندما كان أسيرا فيها.

و بناءا على هذا اتجه (واسيني الأعرج) لتوظيف هذه الشخصيات ليعبر عن تاريخ شعب ذاق مرارة الطرد و التعذيب.

فسيدي أحمد بن غاليليو في "البيت الأندلسي" كان له الدور المهم في الرواية ، كما قلنا سابقا هو بطل الجزء التاريخي ، كما أنه الركن الأساسي ، و محور الحديث الذي دار في الزمن الحاضر —على لسان مراد باسطا— فتحدث عن جزء مهم من مخطوط (سيدي أحمد بن غاليليو)، كما جعل واسيني الأوراق الواردة في الرواية مرسومة باسمه، وجريان الأحداث يعود لزمانه، ولعله ذهب لذلك واسيني الأعرج من خلال درجة الحضور في الرواية ، أما من خلال منزلة فيها فلا يمكننا أن نتعرف على تاريخية "البيت الأندلسي" ، ولا على حياة المورسيكيين في الأندلس قبل الهجرة من دون (سيدي أحمد بن غاليليو) ، أو أي شخصية أخرى من غيره تمتعت بنفس منزلته في الرواية.

⁶⁹ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع نفسه، ص 302

* ميغيل دي سارفانتس سابدرا ، مؤلف الرائعة العالمية (دون كيخوته) ولد في قلعة هنارس عام 1547 م ، حياته حافلة بالمغامرات ، اشتهر بثقافته الواسعة حتى أنه لقب بأمير الأدب الإسباني ، توفي 23 أبريل 1616 م .

ب - *ميغيل دي سرفانتس:

شخصية ثانوية في رواية "البيت الأندلسي" ، نسجل حضوره في أربعة أوراق من مخطوطة (سيدي بن أحمد غاليليو) ، وسرد بعض أحداثها ، وجاء ذكره أثناء الأنباء التي حكّت عن اعتقال القرصان (دالي مامي) لمجموعة من الإسبانيين حين تم تسليمهم إلى (حسن فيتيزيانو) ، الذي طلب من صليبه (حميد كروغلي) مترجما يجيد الإسبانية ، ووقع اختياره على (سيدي أحمد بن غاليليو) ، لأنه يتقن العديد من اللغات منها الإسبانية ، وذلك بشهادة سيده (حميد كروغلي) الذي يقول : "كلمني اليوم الرئيس سيدي الرئيس أرناؤو أمامي ، أنهم ألقوا القبض على مجموعة من الرهائن ، يبدو أنهم في غاية الأهمية ، و يحتاجون إلى مترجم يثقون فيه ، فكرت فيك ، وقلت بلا دراية و بشكل عفوي: لن تجدوا أحسن من غاليليو الروخو ، رجل طيب و يتقن لغات عديدة"¹.

فقد كان على علم أن (غاليليو) واسع الثقافة ، ومحباً للقراءة ، فقد التقيا (غاليليو) و (سرفانتس) ، ودار بينهما حوار طويل ، تغلبه الكلمة و الفلسفة التي كانا يمتازان بها. فالغاية من وجود شخصية كهذه في " البيت الأندلسي " هي فقط لعبة فنية من أجل إيضاح أن روايته الشهيرة (دون كيخوته) استمدت أسلوبها في فن القصص العربي ، كما أشار أيضا (واسيني الأعرج) إلى اهتمام (غاليليو) و محبته لسرفانتس ، فأول ما دخل قاعة الانتظار داخل قصر (حسن فيتيزيانو) ، بقول (غاليليو) : " نظر إلى الرجل الأحمر ، شعرت كأني أعرفه و كأنه يعرفني "² . كما أشار إلى الشبيه

¹ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 186

² المرجع نفسه ، ص 254

الذي جمعها في مواقف كثيرة ، لا سيما الحرب و قادتها ، فكلاهما شارك في الحرب ن و عرف ويلاتها ، فعاليليو عندما وقع أسيراني سجون محاكم التفتيش أدرك قيمة الحرية ، فوجه كلمة للقادة الفاتحين " كنت مؤمنا بشيء واحد و هو أنني لم أرتكب خطأ ، و أنني كنت أدفع ثمن تاريخ صنعه الآخرون "1 ، ينطبق على (سرفانتس) من الحرب و موقفه منها ، فتقول متأملا : " البحر لا يجيش فقط بالحروب الهالك يا غاليليو ، و لكن بالحماقات أيضا ، التي يركضون وراءها حتى الموت ، قبل أن يتفطنوا إلى ذلك متأخرين، إن الثقة الزائدة و اليقين ت مقتلان مدمران "2.

فكل منهما نلاحظ في ختام كلامه مواقف و كلمات لإيقاظ النائمين ، و كما ذكرنا سابقا كان لهما نفس الموقف من الحرب ، فيقول غاليليو : " كل حرب مهما كانت عادلة تبطن في عمقها قدرا معينا من العجز و التفكير "3، لأن الحرب طريقان ، إما أن تنهض بالدولة ، و إما تكسرها ، فيقول : " نحتاج دوما إلى انكسار عظيم لنعود إلى يقيننا الوحيد الخسارة ، حتى عندما تريح تطل في عمق خسارة لا تدركها إلا لاحقا . بعد زمن طويل "4، ليرد (سارفنتس): " بعض هذه الحروب ليست حروبا ، و لكن مجرد طلقات أخيرة لإقناع النفس المنهكة أنها قاومت و لم تستسلم "5.

كما نلاحظ كلما تقدمنا في بحثنا أن الشخصيات في هذه الرواية لا يمكن حصرها ، كما لا يمكن التطرق إليها جميعا ، فهي غنية بما في الكلمة من معنى من حيث الشخصيات

1 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق، ص 77

2 المرجع نفسه ، ص 269

3 المرجع نفسه، ص 270

4 المرجع نفسه ، ص 270

5 المرجع نفسه، ص 271

ج- زريدة :

هي من الشخصيات الثانوية في الرواية ، و تمثل المرأة المثقفة التي تتقن عددا من اللغات ، و منها الإسبانية ، و فد اختارها (حسن فينيزيانو) مراقبة على (غاليليو) ، عند اجتماعاته مع (سرفانتس) داخل قصره ، فيقول (غاليليو) أن (زريدة) تسبها مورييسكي : " صارحتنا أنها تنقل يوميا تقريرا إلى سيدها ، و لكنها طمأنتنا أنها لن تضرنا أبدا فنحن من جلدنا ، كما تقول " ¹.

فهي تعد من الشخصيات التي خلدت في ذهن (واسيني الأعرج) من خلال العلاقة التي كانت تربطها ب (سرفانتس) ، و إعجابهما ببعض فيقول معجبا بها سرفانتس : " لا أجد اللغة التي أصفك بها يا زريدة أنت الآن أجمل من أية لغة " ² ، و قد أدرك غاليليو قيمة هذا الحب، فحتى هو كان ملاحظ لهذا الربط المقدس الذي جمعها، فيقول (غاليليو) ل (سرفانتس) : " مرتاح أن قلبك تفتح على ابنة الحاج مراد ، أو حاج موراتو كما تسميه ، لالة زريدة نزلت من السماء على يديك و ليس على يدي لتمنحك فرصة أخرى للحياة " ³، فقد كان يعامل معاملة خاصة بفضلها ، فلم يعامل معاملة الأسير ، إنما معاملة الضيف ، كما كان (غاليليو) يستذكر حبه ل (لاله سلطانة) و عشقه لها ، و كيف بنى بيته ، و بهذا أحب (سرفانتس) أن مشاعره مشابهة لمشاعر (غاليليو) حيث قال : " أنا أيضا اشتبهت في لحظة من اللحظات أن تكون لي مرجع ، بيت جميل مثل بيتك أعود إليه كل

¹ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، المرجع السابق، ص 258

² نفسه ، ص 264

³ نفسه ، ص 284

مساء ، بل إن بيتك ذكرني مرة أخرى بأن أرضي هناك ، أنت جدت الحال بأن نقلت أشواقك معك ، و أنا ؟ ماذا يمكنني أن أفعل ؟ " ¹ . و نجد أيضا شخصيات في الرواية ..

د- مراد باسطا :

شخصية محورية في الرواية ، وجوده داخل النص متصل مع ذكر البيت في الرواية . حيث جل الفصول كان هو ساردها ن حول تاريخ البيت الأندلسي ، و حول ساكنيه ، و كما ذكرنا أيضا آخر التطورات التي لحقت به ، و أهم ردود الفعل التي قام بها من أجل الدفاع عنه بمعية حفيده (سليم) . كما نذكر أن مراد باسطا سخر نفسه لحماية البيت و روافده . كمخطوطة سيدي أحمد بن غاليليو : " فقد كان (مراد باسطا) يرى نفسه الشخص الذي يحافظ على تراث أجداده المورسيكيين ، و قد كان يرى فيه والده فيقول : " الوريث الذكي الذي يأخذ مسألة الأجداد مأخذ الجد " ² ، و أيضا " لم تبقى لي إلا أنت يا مراد و ليس من حقي أن أعود إلى التراب حاملا سر جدك معي " ³ . (فمراد باسطا) كان يمثل ركنا أساسيا من أركان البيت الأندلسي ، فهو الراعي الأمين لممتلكاته ، لا سيما المخطوطة التي كانت بطاقة هوية لجده (غاليليو) .

¹ السابق ، ص 289

² الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص 199

³ السابق ، ص 202

فقد كان ملازما للبيت ، و متذكرا لجميع الوافدين له منذ نشأته ، فتقول : " تصوري يا سارة ، إلى اليوم ما زلت أشم روائح كل من عبروا من هناك ،.... أسمع لصرخات القادمة ، ... لا شيء يمر بالصدفة في هذا البيت".¹

فتظهر أهمية مراد باسطا في إبراز أهم الأحداث داخل الرواية ن لا سيما المعنى الدلالي ، و ذلك من خلال التغيرات التي طرأت على البيت الأندلسي ، من هدم ، و بناء ، و تغيير في معالمه ، و أصل و جنسية السكان الوافدين إليه ، و هذا ما تجسد من خلال شخصية (مراد باسطا) ، الوسيلة المعبرة عن إرث و تراث " البيت الأندلسي " ، و بهذا عبر عن صورة المجتمع الجزائري و موقفه من إرث الأجداد .

ج- حنا سلطانة :

من الشخصيات الرئيسية و الأساسية في الرواية ، فلها حضور لافت فيها ، لا سيما في اتصالها مع عنوان الرواية ف(حنا سلطانة) ، هي المعنى الثاني من معاني " البيت الأندلسي " ، يقول (غاليليو) : " لبيتي الأندلسي معنى واحد اسمه سلطانة"²، فهي تذكّار النشأة و منفذ التجسيد ، و هي الحلم الكبير الذي أراد (غاليليو) تحقيقه ، حتى أن البيت أصبح الرابط الأسري التي جمعها فكان مهرها بيتا على الطراز الأندلسي ، يقول (غاليليو) ناقلا عن قول سلطانة : " هل تدري حبيبي ؟ هذا مهري ، قادر

¹ السابق ، ص 43

² السابق ، ص 172

عليه؟¹، و عند رحيله إلى الجزائر و امتلاكه الأرض ، كانت (سلطنة) لم تفارق مخيلته ، كانت بمثابة خيال يلاحقه في كل جزء من جزئيات حياته ، و في كل زاوية من البيت كان يتذكرها ، و عند كل تطبيق يسأل نفسه إن كان لائقة (بسلطنة) أم لا .

و بهذا كانت (سلطنة) رمز البيت و معناه ، لأنه جاء في لسان العرب من مادة (بيت): " بيت الرجل : امرأته : و يكنى عن المرأة بالبيت"²، فكانت ذكرها اللمس الجذابة بالبيت ، و هذا ما جعله يمتاز بطابعه و زخرفه الغرناطي ، لأن سلطنة هي من قامت برسم هندسته ، و تفصيله ، يقول (غاليليو) : " أضاف لها - المهندس المالطي - التفاصيل التي قرأها في المخطط الهندسي الذي جاءت به سلطنة"³ ، فأصبح اسم (لالة سلطنة) معلما تاريخيا من معالم البيت لأنه حفر في أحمد أعمدته الرئيسية ليكون شاهدا لجميع الأجيال القادمة .

و قد أظهر غاليليو في العديد من المناسبات الوفاق الذي ربطتهما ، و جعلها الحب الأبدي الذي خلد في نفسه ، يقول : " سلطنة كأنه كل شيء حزني و سعادتي ، أرضي و فقداي ، حي و شوقي ، إرادتي القوية في الحياة ، منفاي و قلقي ، كانت جبلي الذي يشدني إلى تلك الأرض التي لم تعد بعيدة ، و عزائي الكبير على فقدان "⁴ . و بما أن نفسه هزمتها ، فقال أيضا في بعده عن الأندلس بعد أن عاش المتقى ، أن تلك الأرض لم تكن له ، فتقول في رسالة بعثها لسلطنة : " لالة سلطنة

1 السابق ، ص 93

2 ابن منظور ، لسان العرب ، م 2 ، مادة (بيت) ، ص 15

3 الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص 180

4 السابق ، ص 163

الغالية ... قلت لي لا تركب رأسك ، و لكني ركبتك ، و حملت البندقية و أطلقت الرصاصات المتبقية على أرض كنت فيها و لم تكن لي ...¹. فكان غاليليو بتذكره لسلطانة قلبه ينسيه بعض الشيء هم الغربة و عذابها ، فيقول في موضع آخر : "كان حضور سلطانة كافيا لكي أعشق الحياة أكثر و أنسى هم الغربة الذي أدخلني في حياة جديدة اقتنعت منذ البداية أنها الحياة الطبيعية التي كان يجب أن أعيشها ..."².

و بهذا يمكننا الجزم أن شخصية لالة سلطانة شخصية آنست وحشة (غاليليو) في منفاه ، و كانت أمل حياته و استمرارها و أيضا نجد من العنصر النسوي الذي اهتم به (غاليليو) و جاء في الرواية : -مريم : كانت ضمن فرقة موسيقية شكلتها (سلطانة) للغناء بهو " البيت الأندلسي " ، فاهتم السار بهذه الشخصية خصوصا لدورها البارز في هذه الفرقة الموسيقية (غاليليو) يقول : " أعادت سلطانة تكوين فرقته التي تملأ قلبها ، وجدت (ضالتها في لالة مريم التي ساعدتها في كل شيء ... و عندما فكروا في اسم الفرقة كان مقترح لالة مريم هو الأجل " ³.

ح- ماسيكا :

هي من الشخصيات النسوية المهمة في هذه الرواية ن فهي القلب النابض ، و اعتبرها (واسيني الأعرج) المنظم الأساسي للعملية السردية ، و هي التي جمعت أجزاء النص و نظمتها بعد أن كان

¹ السابق ، ص 91

² السابق ، ص 182

³ السابق ، ص 190

قطعا متناثرة ، و هي من أتت بالمخطوطة ، و رمتها معلوماتيا من خلال رحلتها ، و هي من عرفتنا على (مراد باسطا) و مخطوطاته .

كانت (ماسيكا) فاتحة الرواية و نهايتها ، إضافة إلى دورها الأساسي في بناء النص داخل الرواية ، كما استغلت الهوامش لجعلها استهلالا لمخطوطة (غاليليو) و هي تقنية و فنية أدبية لجأ إليها الكاتب ليظهر لنا أن المخطوطة حقيقية ، و ملموسة من خلال الهوامش التفسيرية أسفل بعض صفحات الرواية ، لما وضع اسم (ماسيكا) نهاية كل تفسير باعتبارها المحللة لدلالة المخطوط ، و بيان مضمونه .

فهي شابة من أصول موريسكية ، تلقب بـ "سيكانتس السبينولية"¹، هي ليست من ملاك البيت الأندلسي أو ورثته الشرعيين، ولكنها صديقة "مراد باسطا"، الوريث الشرعي لهذا البيت ،وللمخطوطة التي يخبئها فيه. كما أن هناك علاقة وثيقة بين (ماسيكا) و (مراد باسطا)، فهي الوحيدة التي تمكنت من فهمه كما تقول: "كنت الأقدر على قراءة الرموز الخفية التي كانت تتداح في عينيه وفهمه أكثر مما يفهمه أي شخص آخر بما في ذلك أعز أحفاده"²، كان لقاءهما حين أتت مع معلمتها لزيارة "البيت الأندلسي" هي و باقي زملائها، كما أن (سيكا) هي التي أنقذت المخطوطة من اعريق الدم و النهم للبيت الأندلسي.

¹ واسيني الأعرج ، البيت الأندلسي ، ص 7

² السابق ، ص 7

تقوم هذه الشخصية بالعديد من الوظائف، وتعد "قلب الرواية" فتارة تتولى عملية السرد في الرواية، ومن جهة أخرى تقوم بوظيفة أخرى وهي مؤازرة شخصية مراد باسطة، و ذراعه الأيمن، وسنده الدائم، فهي تحكى على لسانه قصة "البيت الأندلسي".

فكما ترى كل شخصية في الرواية إلا ولها وظائف تقوم بها، فبعضها جمالي، وآخر دلالي أو رابط...

● شخصية حفيده سليم :

يعد من الشخصيات المهمة في الرواية أيضا، يمكن دوره البارز و أهميته في الحفاظ على البيت الأندلسي، ومخطوطة جده (غاليلى)، ولعل ما جعل هذه الأهمية البالغة هو دراسته المختصة بعلم المكتبات و المخطوطات وسعيه للحصول على درجة الدكتوراة، وهذا يسهل علينا استيعاب دوره الكبير في الحفاظ على المخطوطة، والبيت الأندلسي.

كان حضور (سليم) في الفصول الأولى منها، وكان ارتباطه وثيقا بمحبوبته (سارة) التي سنتعرف عليها أيضا، كان أيضا مرتبطا بالمحاولات العديدة لسرقة المخطوطة ودخول الغرباء إلى البيت الأندلسي، وبهذا يمكننا الجزم أن شخصية (سليم) مرادفة (مراد باسطة) في اهتمامه بالبيت، فيقول (مراد باسطة) لسارة: "هو الوحيد الذي حمل على ظهره قصة هذا البيت و نفذ وصية جده"¹، وبهذا تمثل (سليم) الشخص المحافظ على الموروث، وأسهم أيضا في إظهار (سارة) وأهمية مخطوطة (غاليلى)، كما قدم صورة

¹ السابق، ص 43

سلبية للأحداث التي تعيشها البلاد من خلال حديثه عن السرقات التي طالت المتاحف ، قاسمه جاء مطابقا لامتيازه بالسلامة من العيوب.

● شخصية سارة :

من الشخصيات الثانوية في الرواية، كان حضورها في الفصول الأولى من الرواية ،حيث كانت من سكان البيت الأندلسي التي كانت تسكنه مع عشيقها، و شاءت الصدفة أن تلتقي محبوبها (سليم) الذي درس معها الحقوق،ويأتي ذكرها أثناء الومضات التي جاءت متخيلة(مراد باسطا) و تشبيهها بجذته(حنا سلطنة) ،يقول:"كنت دائما أشعر أن بينهما شيئا غريبا ،و تتشابه إلى أقصى حد من الجنون"¹، وقد استرسل (باسطا) في الحديث عن العلاقة المشابهة بينهما، فمن صفاتها السماحة و المحبة التي تكتهل ل(مراد باسطا)، والسماح ليه بالتجول في ساحات البيت،فيقول لها : "أنت سندنا في هذا البيت ، فيك شيء من روح حنا سلطنة"² ، و يذكر لها أوصاف سلطنة و مقدار الشبه بينهما ، فجاءت شخصية (سارة) نافذة الأمل التي يطل منها السارد على وصف جذته التي تمثل محورا مهما من محاور البناء السردى،يقول:"سلطنة بلاثيوس،كانت في جمالها بلا شك،و في زهوها،و استقامة جسدها و رشاقتها"³،وفي ختام القول نقول سارة مطابقة في رواية البيت الأندلسي.

¹ واسيني الأعرج ، البيت الأندلسي ، ص 41

² السابق ، ص 44

³ السابق ، ص 55

● شخصية الفينكا:

أيضا من الشخصيات الثانوية في الرواية ،حضوره ظهر في الفصل الرابع وهو زوج إحدى السيدات(باربي السمينه) التي قدمت إلى البيت الأندلسي ،واجهن في التعديلات التي غيرت ملامحه ، لينفرد بالبيت بعد أن أقدم على نقل زوجته و أولاده إلى مستشفى الأمراض العقلية،ليجعل من البيت مخزنا لبيع الويسكي ، ثم ليصبح تاجرا للممنوعات بعدها الأسلحة .لتكون تجارتها سببا في موته ،وجعل البيت رمادا ،وحضوره في الرواية وإن كان سلبيا في الجزء الخامس له أهمية.فهذه الشخصية هي السبب المباشر لهدم البيت،وبناء برج سكني مكانه،ف(الفينكا)رمز للخراب و الفساد الذي عان فساد في الجزائر فقد سأل في حوار جمعه مع (باسطا)عن سبب تسميته-سبب تسمية باسطا- فيقول: " أصل الكلمة إسباني ،وتعني يكفي خلاص بلغتنا"¹.

فالمعنى اللغوي ل(فينكا)هو أداة لقطع الرأس ، فمن معناها نفهم تصرفات الشخصية ، فواسيني الأعرج تعتمد استعمال هذه الشخصية لإظهار مآل إليه البيت الأندلسي من خراب و ذريعة مباشرة لهدمه فوجوده في الرواية نهاية البيت الأندلسي .

● حميد كروغلي :

يعتبر أيضا من الشخصيات المحورية في عدد من أوراق مخطوطة (غاليليو) وله دور مهم باعتباره صاحب الأرض التي أقيم عليها البيت،و ظهور البيت الأندلسي ...وهو المسهم في لقاء (غاليليو)

¹ السابق ، ص 354

و(سيرفانتيس) ، ينقسم اسمه إلى قسمين (حميد) من خيال الكاتب و (كروغلي) اسم تركي بمعنى المولودون من أب انكشاري و أم جزائرية ، وبهذا اتسم الاسم بصفه القراصنة و الذين كانوا في الأمن أصول انكشارية ، فاختيار هذه الشخصية جاء بدقة كبيرة ، و مطابقة لمعناها الدلالي داخل الرواية فلا يكتمل الجمال إلا بالتطابق -الاسم، التصرفات- ، أي بالتناسق الاسمي و الوظيفي ، و لتأكيد ذلك جلب شخصية حقيقية (حسن فينيزيانو) وهو شخصية حقيقية وردت في كتب التاريخ على أنه أحد القراصنة الأتراك ذائعي الميت آنذاك. فقد جعل السارد من شخصية (حميد كروغلي) شخصية متقلبة المزاج فتارة يتصف بالشجاعة و الذكاء ، ومرة أخرى بالنهب و السطو ، فقال فيه (غاليليو): "كان ذكأؤه و قادا وخيله كثيرة"¹، كما أن (غاليليو) يظهر (حميد كروغلي) بالمدافع عن المورسيكيين و اليهود المهاجرين إلى الجزائر ، فيقول عن الشائعات التي بثت بأن الإنكشاريين قد يستولون عن البيت : "لكن حماية الرئيس كروغلي و سلطته ، و طبيته أيضا ، كانت تعطيني بعض الإحساس بالراحة الداخلية"².

ونجد أيضا (ميمون البلنسي)، فهو من الشخصيات الثانوية في الرواية وقد أظهره السارد على أنه يتمتع بالطيبة و الحكمة ، وقد وجد فيه (غاليليو) ضالته و الاستمرار في العطاء، يقول: "حتى صائغ الذهب اليهودي ميمون البلنسي الذي كنت أعمل معه في القصبة ، لم يكن في النهاية إلا وسيلتي الاستمرار ، رجل طيب، شغلني بسبب الحرقه التي كنت أعرفها جيدا وضعه كان شبيها بوضعي ، جاء

¹ واسيني الأعرج ، البيت الأندلسي ، ص 156

² السابق ، ص 167

مع الدفعات الأولى من المارنواس الذي طردوا من الأندلس¹، كما يذكر العلاقة الجامعة بينهما ،بقوله: "مارنواس و مورسكيون كنا في نفس العاصفة"².

● شخصية سيلينا :

تنفرد هذه الشخصية بسرد الورقة الحادية عشر من أوراق مخطوطة كتبها والدتها (مارينا) ،حيث تتحدث فيها عن إبداع والدتها ، وبراعة والدها ،وتذهب لتصوير بشاعة الإنكشاريين ،كما تجد(سيلينا) في والدتها الوجه الثاني لجدها (غاليليو)،فقد تميزت بثقافتها الواسعة ،وممارستها للكتابة الإبداعية ، كما زادت المخطوطة جمالا حسيا للأعمال التي كانت تقوم بها والدتها ، لتخرج من ظلام المنفى الذي عاشه والدها، ففي المقابل كان (واسيني الأعرج) يجد في الكتابة عن المنفى مخرجا للتعبير عن البؤس الذي سكنه.

● شخصية السارد المجهول :

فالكاتب أوحى إلى وجود شخصية مجهولة ، من خلال تحليل (ماسيكا)في الهامش .من خلال مضمون الورقة الثانية عشر يبين أن المؤلف المجهول هو أحد أحفاد(غاليليو)الذين حافظو على وصيته وساروا على نهجه في الحفاظ على البيت الأندلسي،و مخطوطته كما:"يتحدث أيضا عن بعض الأحداث التي جرت في الجزائر و غيرت معالم المدينة وعلى رأسها البيت الأندلسي ، إشارة إلى أن

¹ السابق ، ص 153

² السابق ، ص 153

البيت هو صورة مصغرة لمدينة الجزائر ليعبر عن مجريات الأحداث التاريخية المبدئية ،و أثرها على البيت الأندلسي،ولعل المجيء بهذه الورقة استمرار في الوصف التدريبي للأحداث التي تلحق البيت¹.
وبهذا الكاتب يشير إلى بداية التغيرات السلبية ،ليأتي (مراد باسطا) ،ويكمل الحديث عن تلك التغيرات.

ومزال كم هائل من الشخصيات المذكورة في هذه الرواية،ولها دور .لكن بطبيعة الحال لا يمكننا الإلمام بها جميعا ،فاتجهنا لذكر البعض منها ،والتي أرت أيتام أنها مهمة...

3-رمزية البيت :

إذا عدنا إلى معنى البيت هو المأوى بمفهومه العام،فالبيت الأندلسي يشكل العمود الفقري في العمل الروائي ،فهذا البيت يضم بين غرف ،وساحاته،وحديقته،حكايات أناس توافدوا إليه "الرومان،المسلمون،الأندلسيون ،الأتراك،الفرنسيون،ثم ناس بعد الاستقلال"²،وكل ترك بصمة ،وأثرا فيه ليكون له عدة دلالات و رمزيات .

ومن دلالات البيت ورمزيته في هذا النص الروائي ،ترسيخ الخمن و الاشتياق في قلب(غاليلىو) ،وذلك من خلال نقل جميع تفاصيله حتى أصغرها كما هي ،دون تغيير ولا نقصان ،وإن دل هذا على شيء دائما تدل على محبته لهذا البيت،فنقله من غرناطة إلى الجزائر ،دون المساس بالمزروعات والأشجار

¹ حسني زهير ، حسني مليطات ، البيت الأندلسي دراسة نقدية تحليلية نقدية تحليلية ص 140 – بتصرف

² الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص 139

الأندلسية التي تعد رافدا من روافده لأنها دليل الشوق و الحنين إلى بلاده الأندلس : "كما غدا بناء البيت الأندلسي لدى (غاليليو) تعبيرا قويا لاسترداد من سرق منه"¹.

كما يرمز هذا البيت عن حال المجتمع الحالي الذي رفض ميراث أجداده ،ففي جزئيات (مراد باسطا) يتوضح ذلك جيدا ،أن المجتمع الجزائري رفض البيت ،والتراث الأندلسي ،وظهر ذلك في تجسيده وتذكيره الأجيال التي تعاقبت عليه ،وأول شيء ورمزية عبر عنها هو موقف البلدية من البيت الأندلسي لمكان تاريخي يستقطب الزوار،والموقف السلبي لها عندما أرادوا هدمه وبناء برج تجاري مكانه.

فأهمية البيت تكمن في أنه المرآة العاكسة لمن كان حاصرا فيه كما يقول "حسن بحراوي " في "بنية الشكل الروائي": "البيوت تشكل نمودجا ملائما لدراسة الألفة و مظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له ،كما يقول (ويليك): فإنك إذا وصف البيت فقد وصفت الإنسان ،فالبيوت تعبر عن أصحابها."².

فالبيت الأندلسي أصبح بعد الأحداث التي جرت فيه يأخذ من كل صنف رمزا ،فيقول: "بيتا نشأت فيه الأنوار و الجنون والدم،بيت تجاور فيه الطيبون بالقتلة،الأبرياء بالمجرمين ،الظالمون بالعادلين"³

¹ إبراهيم رزان ، الرواية التاريخية بين الحوارية و المونولوجية ، ط 1 ، عمان ، دار جرير للنشر و التوزيع ، 2012 ، ص 53

² بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، ط 1 ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، 1990 ، ص 43

³ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص 408

،وهذا ما يعكس الوضع الذي آلت إليه البلاد من الفساد ،وعدم المحافظة على التراث، وإرث الأجداد و تاريخهم.

ولم يختص الكاتب بذكر البيت ودلالته و أهميته فقط ،بل ذكر أيضا روافده ،التي كان لها نصيب من أهميته.

1-الناظر:

من أساسيات البيت،فقد كان قلب (غاليلىو)لأنه يحمل قيمة رمزية عالية،فهو تأكيد لحسن غرناطة،فقد جعله (غاليلىو)مكونا رئيسيا من مكونات البيت وأطلق عليه (المقصورة)،فقد كان يرى من خلاله مكونا مريحا للنفس،ومحل طمأنينة عند رؤية البحر ،فيقول: "بما كان الناظر كذبتى التي تريحني،ولكنه كان فضائي الأزرق الجميل"¹.

كما ذكرنا أيضا (مراد باسطا)، فيقول : "الصعود إلى المقصورة في أوقات الخلوة يريح النفس والقلب، الناظر يمنح المكان قدرة تخطي الحوافز"²

الناظر أو المقصورة لم يبق على حالة، إنما لحق به ما لحق البيت من ضرر، فأصبح صدئا مكسور الزجاج، حتى جاءه وافدون (مارينا)، (زوبط) وإبنتها (سيلينا)، فقام الزوج بإصلاحه، لينال الناظر بذلك قدرا من الاهتمام، فكان مكانا هاما في قلب وأحلام (مارينا)، تقول (سيلينا) على لسان

¹ السابق ، ص 154

² الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص312.

والدتها : "بدأ كابوس العودة ينتابني في كل اللحظات، بالخصوص عندما أغفو وأنا أتأمل السفن، من وراء الناظور، من عمق البيت الأندلسي الذي مازالت رائحة والدي وأمي سلطنة ملتصقة به"¹، فالبنسبة لها المكان الذي به أوقاتها الجميلة، فتقول (سيلينا) أيضا : "أجمل أوقات مارينا كانت تقضيها معلقة على الناظور"²، وأماكن أخرى في البيت تظهر أهميته ودلالته التاريخية التي ترسم إرث الأجداد ، وتاريخهم في الجزائر لكن يا حسرتاه على إرث لم يبق ولم يدم.

فالببت في هذه الرواية مكون مكاني، يمثل صورة الجزائر وحقيقة الإستعمار المستند، والحروب الأهلية الإسبانية، فالببت من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات الإنسان، فهو يخلق الإستمرارية وهذا ما إستنتجناه ولاحظناه في هذا العمل الروائي السردي.

كما نلاحظ أيضا أن جمالية البيت الأندلسي تظهر أيضا في حسن إنتقاء أثاثه، فمثلا نجد على سبيل المثال (البيانو) قطعة أثرية جميلة خربت من قبل (المدام لوبيز) التي هي رهو التخريب وضياع الموروث عن الوجود.

كما جاء في سابق الذكر عندما قلنا أنها خربت باحة البيت وأزالت بلاطة، وخلعت أشجاره، فيقول (مراد باسط) مستغريا : "عندما حرروا البيت الذي نزعوا بعض أشجاره في الحديقة من زوائده، رأيت بيتا آخر غير الذي كنت أعرفه من قبل، أكثر سواء من الملهى الأندلسي"³

¹ المرجع نفسه، ص385.

² المرجع نفسه، ص389.

³ الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص384

نفس الألم الذي سكن (مراد باسط) في هذه الحادثة شكته مرة أخرى عندما علم برميطة (البيانو)،

الذي يمثل معلما تاريخيا في خلدته فيقول : "هو هدية لالة سيما، ابنة الآغا حسن فينيزيانو"¹

فهو يعد نصبا ومعلما ورافدا من روافد البيت، فيقول (مراد باسط) لعمال النظافة بعد حمل البيانو :

"شفت يا وليدي عبد الحق ! بيانو من القرون الماضية في مزبلة؟ أي وضع نحن فيه، وأي حالة

هذه"²

هذا البيانو ما هو إلا جزء من فخامة وقداسة محتويات البيت، ورميه ترك حزنا عميقا في نفس (مراد

باسط)، فقد حاول كثيرا الحفاظ عليه، إلا أن جميع محاولاته باءت بالفشل لا سيما عندما جاء أبناء

أخيها (أبناء أخ المدام لوبيز)، فقد أكملوا ما تركته العمّة، فقد خربوه عن آخره.

يقول (مراد باسطا) في هذا : "تحت الرياح والأمطار، حوله أبناء أخيها السبعة إلى لعبة، بعد مدة

قصيرة نزعوا أجزاء من ملامسه وأخرجوا بعض أحشائه، وبدأ البيانو العتيق يخسر شيئا من ألفه، حتى

أصبح كالهيكل العظمي، ولم يتبق إلا أخشابه وقطعه المعدنية تقاوم الأيدي"³، ولعل (واسيني الأعرج)

لذكره لهذه التفصيلة أراد إظهار أن التراث الجزائري يفقد حنان أبنائه، فأصبح لعبة في يدي أطفالهم،

وهذا دلالة على تهميش معالم التراث، وعدم الإهتمام بها، فهذا ما هو إلا صورة يوضح بها هذا،

¹ المرجع نفسه، ص358

² المرجع نفسه، ص352.

³ المرجع نفسه، ص357.

فيقول (مراد باسطا) بعد أن أصبح هذا البيانو رمادا حينما سئل إن كان له : "لا ، لا أعرف

بالتحديد لمن، لكنني على يقن أن جزءا من تاريخ هذا البيت أكلته النار والأيدي الخشنة".¹

ويشير في هذا أن البيانو كمجسم لم يكن المقصود فحسب وإنما كان رمزا يشير إلى تراث البي، وتراث الجزائر ككل.

- بعض أحداث رواية البيت الأندلسي :

سنشير إلى بعض الأحداث والمجريات التي جاءت رواية "البيت الأندلسي" على ذكرها :

- صورة الجزائر :

الكتاب والروائيون معظمهم يقومون بتصوير المدن ومعالمها الداخلية والخارجية، لما له إنعكاس هم لنقل نصوصهم إلى القراء فالمكان أو المدينة يطل الكتاب من خلاله ليستوحي المعالم الأثرية فيه ويجسد معنى كتابته لنصه، ونجد (واسيني الأعرج) من بينهم فقد أظهر سلبيات وإيجابيات المدينة من خلال نصه الروائي المسرود، كما أنه ترك أثرا في نفسية القارئ، فقد ذكر المدينة ليخبرنا على الحقب الزمنية التي توالى عليها، فقد وظف الحروب الأهلية، وحتى صورة الأندلس، ورواية (البيت الأندلسي) من الروايات التي أظهرت واقع الجزائر المعاصر، فتارة بمدحه، وتارة بدمه، فقد وظف الكاتب صورة الجزائر ليعبر عن موقف بعض سكانها الذي أصبح موضوع جدل واسع ألا وهو قضية التراث. لا سيما في

¹ الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص358.

كرهو : شخصية ثانوية في الرواية، يعمل أميناً عاماً في البلدية التي ذهب إليها (مراد باسطا) للدفاع عن البيت الأندلسي وقد عمل جاهدا لمساعدته على حماية البيت الأندلسي.

حي^١ (القصبة)، المعلم التاريخي الأثري الذي يدل على تعاقب الحضارات القديمة في الجزائر، لذلك جاء (واسيني) بهذه الرواية التي تمثل حال (البيت)، الذي آل للدمار والزوال، معبرا عن حال باقي المناطق الأثرية.

فجاءت صورة الجزائر في رواية (البيت الأندلسي)، وصفا لبعض التصرفات السلبية التي قام بها بعض أبنائها إزاء تراثهم، ومحاولتهم لهدمه وعدم إهتمامهم به، وجاء ذكر صورة الجزائر في هذا العمل الروائي لغرضين أساسيين هما :

- التراث الجزائري وصورته : فيقول بخصوص البيت القائم في مدينة الجزائر، والذي يمثل تعبيرا واضحا عن البيوت المماثلة للبيت الأندلسي، ومحاوله بيع البيت، يقول (مراد باسطا) مخاطبا كريمو :

"هذا البيت الذي تريدون بيعه، قاوم كل الغرابة وظل واقفا.

ويقاوم اليوم قتله من نوع جديد، الورثاء، الذين يريدون تكيسه كما يفعلون مع الجمال قبل الإجهاز عليها، وذبحها"¹، كما تحدث واسيني أيضا عن التهميش لمعالم التراث في البيت الأندلسي، يقوم (سليم) عندما وضع أوراق المخطوطة على السكاكير، وحفظها : "لو كنا نستطيع أن نفعل نفس الشيء مع القصبة، لثبتناها في السكاكير حتى لا تموت"²، وهذا يدل على عدم الإهتمام بالتراث،

¹ الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص111.

² المرجع السابق، ص216.

يوسف النمى، شخصية عاكسة للأحداث المعاصرة، كان صحفي في جريدة الشاه، كان يسعى للحفاظ على البيت، ويكتب عن ظلم السلطات، وكان شخصية ثانوية وصديق سليم.

ومحاولات محوره على الوجود، فالقصة معلم تاريخي معروف لدى العالم كله، لأنها رمز الحضارات المتعاقبة على الجزائر.

حتى وصل بهم الحال لنشر شائعات حول البيت الأندلسي من أجل هدمه بأنه مسكون بجن يهودي، فتقول رئيس تحرير جريدة الشاهد الجزائرية مخاطبا (يوسف النمى) : يبدو أن هذا البيت الحزب سيأكل رؤوس الجميع بما في ذلك جريدتنا، كل الناس يتكلمون عنه، حتى أن هناك من يقول أن الدار مسكونة منذ قرون جني إسباني من أصل يهودي، وأقسم أن لا يخرج منها، أكتب أخي عن هذه الموضوعات . الناس يحبون الكذب والخرافة أملاً أدمغتهم المشوهة بالتفاهات"¹، وعند انتشار مثل هذه الأخبار في القصة يلجأ سكانها لهدم مثل هذه البيوت التراثية خوفاً من هذه الخرافات، وفي هذا الخصوص يقول (مراد باسطا) : "الحيل اليوم أصبحت مكشوفة، كلما سمعت حكاية الجني الإسباني، أدركت أن العملية جزء من سلسلة محاولات لتهميش الناس من هذا البيت، يديرون كل المبررات للإستيلاء على البيت والأرض. صنعة قديمة"². وأيضاً من الحيل التي إعتدوها سرقة الأشياء القيمة التي تدل على التراث كما حصل مع تمثال (ماسينيسا)، فيقول سليم والحزن والقلق باديان عليه: "لقد سرقوا الجسم الصغير والوحيد لماسينيسا، وجدوه قبل سنوات قليلة، تحت الأثرية واحتفظوا به وطنياً بشكل مبالغ فيه"³، كما ثنى (مراد باسطا) على مجهودات حفيده سليم على الحفاظ على الموروث العريق، فيقول : "لا يتأفف أباً على الرغم من جبل الأشغال الذي يحرق وراءه دائماً، سرقة

¹ الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص239.

² المرجع السابق، 40

³ المرجع السابق، ص211

الآثار التي أصبحت دارجة لدرجة أنها تحولت إلى موضة ! مطاردة المخطوطات في المدن، بالخصوص في الجنون".¹ فحسب نظر (مراد باسطا)، وتلخيصا لما يحدث : البلاد منذ البداية سلكت الطريق الغلط، لا تبني الحضارات بناس غير حضاريين".

وله كل الحق في ذلك...

موقف الصحافة، و كبت الحريات : اهتم (واسيني الأعرج) بهذا العنصر في هذه الرواية، فقد سرد لنا المعارك التي خاضها (مراد باسطا) مع البلدية والمسؤولين للدفاع عن البيت الأندلسي، ومن دافع معه أيضا (سليم) حفيده وصديقه الصحفي (يوسف النمى).

كلما تقدمنا في رواية البيت الأندلسي اكتشفنا شخصيات جديدة لها منحى فيها هدف (واسيني) لتوضيفها من أجل بيان لقضية التي يريد أيضا لها للقارئ، ونجد (يوسف النمى) أشرنا إليه في التهميش داخل النص الروائي في أثناء الحديث عن موقف البلدية من البيت الأندلسي ليخبرنا (سليم) عن صاحبه (يوسف) الذي كان يمتاز بالجزم الشديدة في كتابة مقالات ضد السلطات، لا سيما إهتمامه بالبيوت التراثية، فقد حدثه (سليم) عن بيت جده، فلقى حماسا للدفاع عنه من خلال كتابته عنه في جريدة الشاهد الجزائرية التي كان يعمل فيها، إلا أن وللأسف رئيس التحرير عارضه وبشدة، وأصبح مستهدفا من قبل بعض المجهولين، ولقي جراء ذلك قتل خطيبته. فهو الذي سرب للصحافة كل المعلومات الخاصة بحركة بارونات الأسواق، وهو من كتب عن مشكلات العقار وعن البيت

¹ المرجع السابق، ص 219.

الأندلسي ليقول عنه : "أنه اختزال للحالة المزرية التي وصلت إليها البلاد"¹، كما "اهتم بتاريخ المدن القدية تيبازة، شرشال، غرداية، القصبة، الفقرات المائية في كل الصحراء، وبنائها التحتية المعقدة، ونظامها المائي القديم"²، بعد كل هذا أصبح صحفيا له صيته وينتظره القراء كل صباح، فيقول (مراد باسطا) : " ينتظر آلاف القراء كل صباح سبت، والخميس مقالاته يسمونها القنابل الموقوتة"³. (فيوسف النمى) كرّس حياته للتحريات التي يقوم بها دفاعا عن التراث والبيت الأندلسي، وكانت محاولات قتله متكررة، وكرر الكاتب في فصوله التي ذكر فيها الجملة المتكررة على لسان قتلته : "اعقل عليّ" مليح ، واحدة من إثنين، يا تلع فمك يا نسكتهلك" وهذا يدل على حال الصحافة في المدينة.

ويظهر ذلك من خلال موقف رئيس التحرير لجريدة "الشاهد" وموقفه الرفض.

صورة الفرنسي في الرواية :

لعل القارئ لكتب التاريخ الجزائري يجدها تهتم بقضية الإستعمار الفرنسي، والثورة التحريرية، وأغلبها يحكي عن الممارسات الفعلية للإستعمار وأثره في قضايا المجتمع المختلفة.

وإذا لاحظنا بغلب على (روايات الأعرج واسيني) التخيل التاريخي الذي يعتمد على الذاكرة الحية، ليستقطب الأحداث التي مرت بها الجزائر، لنجد الحقبة الفرنسية. ويكتب عن دور الفرنسيين في

¹ الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص223.

² المرجع السابق، ص224.

³ المرجع السابق، ص224.

ليون ليسكا : مقال فرنسي جاء للجزائر، بحصة (ميشال جونال)، حيث كان مختصا في المنجزات الكبرى.

الحفاظ على المعالم الأثرية والثقافية المزدهرة في الجزائر، وهذا في فترة حكم (ميشال جوناو) (1903-1913)

تشكل هذه الحقبة إختلافا جذريا عن الحقب السابقة لأن (جوناو) معروف بعطقه على الجزائريين، فهو من أحداث الإصلاحات بواتد على حصول الجزائريين على الجنسية الفرنسية والحصول على الحقوق السياسية، كما دعا على المحافظة على أملاك الجزائريين، فقد تحدث (واسيني) عنه ليقارن بين الموقف الفرنسي كم الإرث العربي، وبين الجزائري والحفاظ على أصالته بعد الإستقلال.

فصورة الفرنسي في هذه الرواية تمكن في حفاظه على البيت وجعله من الممتلكات التابعة للدولة الفرنسية، والتي يجب الحفاظ عليها.

وممن عهد على الحفاظ على البيت المحاول الفرنسي (ليون ليسكا) الذي كان يرى : "كل ما هو قديم ومقاوم للزمن، إرثا جميلا تجب المحافظة عليه بدل إستسهال تدميره".¹

فيقول (مراد باسطا) أن أهم الأعمال التي قام بها (لسكا)، وأسهمت في الحفاظ على البيت، يقول : " أعاد ترميم البيت الأندلسي بناء على الوثائق القديمة التي ظل الأهل يحتفظون ببعضها، وأضاف له بعض الأجنحة ليصبح في وقت وجيز بيتا جميلا، حتى أنه عندما عاد إلى أرضه بنى فيلا شبيهة له مستوحيا منه روح مخطط بنائه، سماها دار الجزائر"²، أما جوناو فكان معجبا بخارجه المكنون على الطراز الأندلسي، فقام بترميمه، فيثني أيضا مراد باسطا على هذا العمل قائلا : "لقد انشغل

¹ المرجع السابق، ص310.

² الأعرج واسيني، البيت الأندلسي، ص310.

(جونار) بكل ما هو أصيل وقديم بفضلته عاد البيت الأندلسي إلى أصله الأول، لقد اشتغل مهندسوه ومقاولوه طويلا على الأصول الأولى، والوثائق والصور القديمة التي حصلوا عليها¹، ولم يكيف بهذا فقط، بل ذهب لإنشاء معالم تاريخية أخرى، منها : إنشاء البريد المركزي، الذي شيده على طراز موريسكي لإعجابه بهذا الإرث الحضاري، ومعالم أخرى... وختاما لهذه الأعمال يقول (مراد باسطا) : "ويعود له الفضل الكبير في الحفاظ على بعض معالم المدينة من الأندثار أهمها البيت الأندلسي الذي حوله بسرعة إلى مكان جميل للفنون والموسيقى، وليس غريبا أن يطلق عليه لقب الموريسكي الجديد، لقد عرف كيف يشم سحر المدن القديمة، وكيف يعيدها للحياة"²، وعى هذا نقول صورة الفرنسي صورة حيوية أعادت الحياة للتراث الجزائري والموريسكي على حد سواء، لا سيما البيت الأندلسي وما سيصير عليه بعد الإستقلال، ولعل الكاتب أراد أن يحكي شعور الغيرة لإبناؤ الوطن وإحياء صورة الحفاظ على التراث الجزائري العريق.

الحرب الأهلية الإسبانية :

جاءت هذه الحرب الأهلية على لسان السارد المجهول الذي ذكرناه سابقا في إسبانيا ليتذكر الحرب التي خاضها مع جده حرب البشرات ليتوسع بعد ذكرها لوصف معالم غرناطة، وذكره الأثر الذي تركته في نفسه.

¹ المرجع السابق، ص312

² المرجع السابق، ص314

فلم تكن رواية البيت الأندلسي الوحيدة التي ذكرت هذه الحرب، وإنما كانت إحدى الأعمال الأدبية التي تحدثت عن ويلات الحرب ونتائجها .

فجاءت أحداث الحرب في البيت الأندلسي جزئية لا تغوص في تفاصيل مجرياتها، فقد اكتفى الكاتب بذكر ماله علاقة بالبيت فالحرب دلالتها أهمية البيت الأندلسي، وتصوير ما عاشه الموريسكيون.

يقول والد (باسطا) : " مراد قلبه حار كالجمر ، وهو الوحيد الذي سيحفظ إرث الأجداد"¹، فاشتغل مراد ذلك وذهب مشاركا في الحرب لكن هدفه الأصلي هو رؤية غرناطة وجمالها المعماري الذي ذكره جده (غاليليو) في مخطوطته، ورؤيته للبيت الأصلي، فيقول : "كان لدي مهمة أخرى ودوافع غير دوافعهم"²

لذلك : كربات الأجداد والخيال العميق هو ما جعل ذكر الحرب الأهلية وتوظيفها داخل النص الروائي.

4- الجزائر بعد الاستقلال :

هذا جاء في خواتم الفصل الرابع ، و هدفها :

¹ المرجع السابق، ص318.

² المرجع السابق، ص321.

- أصبح البيت مأوى الانقلابيين . فقد دخل البيت غرباء كانوا منذ الرئيس (أحمد بن بلة) آنذاك ، فيقول بخصوص الانقلاب الذي لحق بالرئيس " أحيانا يبدو لي الانقلاب ضد لن يبادر بالبيت نفسه "1.
- بيع البيت ليصبح حانة خمر و كباريه : استلمه أناس لا تعرف هوياتهم يقول (باسطا) : "أعيد تبليط الأرضية بالاسمنت الأزرق ... "2، و أحدثوا العديد من التغيرات كربط الطريق الأرضي بالحديقة و جعلها مطعما ...
- أصبح مكانا لعقد الصفقات الكبرى .
- أصبح مسرحا للجريمة : حيث قتلت فيه راقصة الكباريه ، لتشوه سمعته محليا و عالميا .
- قامت الدولة بحجزه ليصبح لها . و مراد باسطا مالكا لبيت الخدم فقط .
- توافد آخر الساكنين (باربي السمينة) و زوجها (الفينكا) الذين ألحقوا به الخراب الكبير .
- الحريق الذي لحق بالبيت ، و محاولة (ماسيكا) لإنقاذ مخطوطة (غاليليو) ، ليصبح البيت رمادا ، و يتحقق مراد الدولة في هدم البيت ، و إقامة برج تجاري و سكني يسمى برج الأندلس .
- كما يتحدث (واسيني الأعرج) عن قضية المورسيكيين بسرد أحداث حرب البشرات ، و عذاب محاكم التفتيش ، و سياسة الطرد الممنهجة في بلاد المغرب العربي، من خلال مخطوطة (غاليليو) ، ليصور لنا بها حياة المورسيكيين في الجزائر ، فالبيت الأندلسي استعارة لما يحدث في كل الوطن العربي في ظل غياب الديمقراطية و العقل ...

¹الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص335.

² المرجع السابق ، ص 337

يمكن أن ترجع بسبب حديث (الأعرج) و التفاته الموريسكيين إلى عدة نقط تعكس حديثة عن البيت الأندلسي ، منه :

- نسب جده الذي ينحدر من أصول موريسكية .
- خوف الموريسكيين على موروثهم ، و حرصهم على حمايته ، و بهذا أظهر الكاتب التناقض بين اهتمام الموريسكيين في حماية البيت الأندلسي ، و ساكني البيت المعاصرين في جعل البيت خرابة.
- نقلهم المعالم الحضارية للبلاد التي هجروا إليها لا سيما المعمار ، اللغة ، العادات و التقاليد ، و هذا ما ظهر في البيت الأندلسي .

● مخطوطة غاليليو :

تبدأ هذه المخطوطة باستذكار (غاليليو) اللحظات التاريخية التي عاشها في غرناطة ، و تصوير المعاناة التي عاشها الاسرى الموريسكيين في سجون محاكم التفتيش .

لينتقل بعد ذلك للحديث في مشاركته في حرب البشراة ، مع ذكره لمن خاضها معهم ، و كيف قتل سيده بها ، و نتائج التدخلات الخارجية و كيف قضت على الثورة التي أدت إلى إنهاء الموريسكيين و طردهم من بلادهم .

- من خلالها يمكن للقارئ أن يتعرف على الجذور الأساسية للبيت الأندلسي .
- مثلت المخطوطة تعبيرا صارخا لعلاقة الروائي بالكاتب الإسباني سرفانتيس .

- من خلال المخطوطة تبين لنا الجمال الخارجي للبيت ، و الفن الإبداعي التراثي الذي كانوا يمتازون به .
- تبين لنا أيضا (الأعرج واسيني) أن سليم اهتم بالمخطوطة على غرار جده (مراد باسطا) .
- كما يأتي أيضا في ورقتها الثالثة المصير الذي انتاب (غاليليو) بعد خروجه من سجون محاكم التفتيش ، فالخطاب المسرود فيه تعبير عن رسالته لمحبوته (سلطنة) .
- بناء على ما تقدم في " رواية البيت الأندلسي " كان بنية واحدة في تكون الأحداث و تنوع الخطابات ، و نلاحظ على اختلاف الشخصيات السردية على اختلاف مسمياتها، كانت تسير في اتجاه واحد . فكل من (ماسيكا) ، (مراد باسطا) ، (غاليليو) قاموا باستخدام الأسلوب السردى نفسه و هذا دليل على العمق الفكري الذي يمتاز به الكاتب .

● الموريسكيون في الجزائر :

ذكرت سابقا أهمية الجزائر و صورتها ، (واسيني الأعرج) ذكر على لسان (غاليليو) تلك الصورة و تحدث عن حال الجزائر إبان الحكم العثماني ، فهي فترة عم فيها الخاء و التجارة مع مختلف الأجناس من مهاجري الأندلس من مسلمين و يهود ، و جاء ذكر ذلك من خلال ما عاشه (غاليليو) على اعتبار أنه واحد من المهاجرين الذين عملوا في تلك الصناعات كصناعة الذهب و السفن مع صديقه اليهودي (ميمون البلنسي) ...

جاءت صورة الموريسكين في الجزائر في روايات عدة إلا أن الفرق بينهما و بين رواية البيت الأندلسي أن الأولى اتصفت بالشمولية في سرد الأحداث ، و هذه الرواية تحدثت بإيجاز حول شخصية (

سيدي أحمد بن خليل (ليعبر عن صورة الموريسكيين في الجزائر . فيستكمل (غاليليو) الأحداث بعد الطرد من غرناطة لذا يصبح المكان الذي آواه ذكرى يمجدته عبر صفحات مخطوطة . ليكمل حديثه عن كيفية بنائه للبيت الأندلسي و الأرض من (حميد كروغلي) ، و لهم مميزات البيت التي قام بها ، و كل هذا بغية إظهار الحالة التي كان عليها الموريسكيين ذلك الوقت ، فهم قد أدخلوا إلى الجزائر نوعا من الحياة الحضارية و الشغف بالفنون . فيقول غاليلو في وصف البيت : "الأبواب والساحة التي تظللها السقسفة، وتحترقها نافورة تعطي للمكان حياة متحركة ومرئية"¹، كما امتازت هذه الحقة أيضا بالقرصنة، والعمل وسط البحار، ولعل أهم حدث يتحدث عنه هو عملية أسر الكاتب الإسباني (ميغيل دي فانتس)، وفي هذا العمل أظهر الكاتب بعض الأسماء على غرار (أرناؤوط مامي) و (حسن فينيزيانو)، وهما شخصيتان حقيقتان، و(حميد كروغلي) شخصية خيالية من رسم خيال الكاتب وذكر القراصنة سبب مهم في ظهور بعض الشخصيات الأساسية في وجود البيت الأندلسي، ومنها المهندس (المالطي) الذي أمسكه (أرناؤوط) فيقول (غاليليو) : "يقال أنه هو من يشيد قصر حاكم مالطا قبل أن يلقي عليه القبض (أرناؤوط مامي) في أعالي البحار، ويطلب فدية مستحيلة كم استحل الرهينة البلاد ولم يعد يفكر في العودة إلى مالطا"²

¹ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص180.

² المرجع السابق ، ص 160.

كما كان لمهنة الزراعة جانب في البيت الأندلسي، فقد كانت من المهن التي اهتم بها الموريسكيون في الجزائر، فيقول (غاليليو) : "حافظت على أشجار الرمان والبرتقال والتفاح التي وجدتها، وأعدت تقليمها"³

وبهذا نخلص إلى أن المورسكي كان دورهم بناء في بناء وثقافة الجزائر.

صورة اليهود في رواية البيت الأندلسي :

جاء ذكر اليهود في هذه الرواية مغاير تماما عن ما وجد في روايات أخرى أدبية، فكانت الصورة إيجابية، قائمة على المساواة بحيث مصيرهم، ومصير الموريسكيين واحد، ففي بداية الرواية يقول السارد أن المصير مشترك بين اليهود والمسلمين، ويقول (غاليليو) : "في كل أرجاء غرناطة يقبضون على أي أحد من المسلمين أو اليهود، لمجرد الشبهة"⁴

وتظهر صورة المساواة من خلال شخصيتين يهوديتين في الرواية أحدهما أساسي (لالة سلطانة)، وصديقه في الصنعة (ميمون البننسي)، فهذا يدل على شخصية (غاليليو) كان يغلب عليها المحبة والمودة وظهر ذلك من خلال عشقه، وإختياره لفتاة يهودية أميرة قلبه بدليل قولها : "حتى لا تقول إن المارانبات لا تعرفن الحب، ليكن حبيبي أعطيتك جسدي وقلبي كما اشتيت، ربما يكون الآن أهلك

³ المرجع السابق ، ص 159.

⁴ المرجع السابق ، ص 80.

المارانبات، يعني المارانوس وهو اليهود الذين هاجروا من إسبانيا.

قد هياؤا لك موريسكيته تقاسمك شوقك، أحلى وأجمل مني"⁵، وأما بخصوص صديقه، فيقول : "حتى صائغ الذهب اليهودي ميمون البلنسي الذي كنت أعمل معه في القصبة... جاء مع الدفعات الأولى من المارانوس الذين طردوا من الأندلس"⁶، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الصورة الإيجابية لليهود في مخطوطة (غاليليو)، وتكوين صورة حضارية لكلتا الطائفتين دون تجريح بينهما.

الإسبانيون "محاكم التفتيش" :

فقد حصل مع (غاليليو) الكثير من الأحداث داخل سجون محاكم التفتيش بعد القبض عليه، فقد حكى بمأساة كبيرة على ذلك في مخطوطته، فقد رسم صورة ظلامية للعذاب المؤلم والتصرفات البشعة لممارسات محاكم التفتيش ضد الموريسكيين، ومن خلال تتبع بشاعة محاكم التفتيش، وبيان العنصرية والإضطهاد التي أرادوها في ذلك الوقت، يقول (غاليليو) : "حمل ميغيل سوطا طويلا وقربه من عيني متلذذا بذعري، همهم وكأنه يخشى أن يسمعه من كان يسبقنا من أعضاء محاكم التفتيش : هل تعرف وظيفة هذا السوط؟... يضرب بها أعداد الدين وهو عراة فتتناثر لحومهم وتتفتت عظامهم، بربك ! أليست إبداعا جميلا؟"⁷ وهذا يدل على بشاعة ما كانوا يتعرضون له داخل هذه المحاكم والمسلمين بسبب دينهم.

⁵ الأعرج واسيني ، البيت الأندلسي ، ص179.

⁶ المرجع السابق، 153.

⁷ المرجع السابق، 71.

الإنكشاريين :

يعرف بأنهم الأتراك المتقلبون والإنكشارية كلمة عربية حرفت عن الكلمة التركية "يكيجري"، لتتكون الكلمة من مقطعين الأول : "يكي" معنى "جديد" والثاني "جري" بمعنى "العسكر"، فيأتي المعنى الكامي العسكر الجديد أي الجيش الجديد⁸، وقد مثل هذا الانقلاب نقلة نوعية في التاريخ، فمن قائد للدولة إلى أداة للتخريب والفتك، فقد عانوا في الأرض فسادا، وظلموا الناس، وقد وضفت (سيلينا) تلك الأحداث فتقول : " تسلط الرياس من جديد على الناس، وبدأت المدينة تتحول إلى غابة والشوارع إلى مسالك للخوف، الكل مرعوب من الكل، الرياس تسلطوا على كل شيء، هم من يضع الحاكم، وفي اليوم الموالي، كانوا هم أول من يأكل رأسع بلا تردد ، استقحل الطمع في المال والبيوت والنساء..."⁹، وهكذا أظهرت (سيلينا) وضع البلاد إتيان الإنكشاريين، فكانت صورتهم غائمة يسودها ظلام قائم، أجمل ذلك (غاليليو) في وصفهم فيقول : "أسوأ ما في البلد هم الإنكشارية كانوا إذا مروا على مكان ولم يعجبهم دمروه، أو رأوا امرأة أكلوها حية بعد أن يغتصبوها بالدور، واحدا واحدا"¹⁰ فعن أي ظلم ألحقه الإنكشاريون ذلك العصر، والكاتب أراد بهذا إظهار الخيبات والآلام التي أصابت البيت الأندلسي، وما هي إلا خيبات ستواثل تحطيم ودمار وهلاك هذا البيت.

⁸ أماني بنت جعفر، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، القاهرة، دار القاهرة، 2007، ص22.

⁹ الأعرج واسيني، البيت الإندلسي، ص385.

¹⁰ المرجع نفسه، ص250.

دراسات حول البيت الأندلسي :

حظيت رواية (البيت الأندلسي) بالعديد من الدراسات أهمها :

1. (رزان إبراهيم) : الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية¹¹ وهو كتاب درست فيه الباحثة

المنهج الثقافي، وطبقت بعض مفاهيمه ، وانتقت رواية البيت الأندلسي كنموذج تطبيقي، فاستعملت

مفاهيم الحداثة، والعلاقة عن الروائي بالشخصيات، والحروب... وغيرها

2. (وسيمة مزداوت) : الإستعارة الروائية دراسة بلاغة السرد¹² وقد درست الباحثة فيها

إستعارة الرواية المتمثلة بإستعارة المكان والشخصيات والأحداث ، والبعد الجمالي من استخدامها

داخل النص، وخصت رواية البيت الأندلسي بالدراسة، وكانت الدراسة فيها دراسة بلاغية فقط.

3. (نورة بعيو) : تظهر العلاقة التفاعلية بين الفضاء والأيدولوجية في روايتي "مدن الملح"

و"البيت الأندلسي".¹³

درست الأبعاد الأيدولوجية الحاضرة في الروائيتين وتوقفت عند رواية "البيت الأندلسي" ودرست دلالة

الفضاء النصي والجغرافي والأبعاد الدلالية في الرواية .

وتكمن أهمية الدراسة لرواية "البيت الأندلسي" في إعداد بعض المقالات والأوراق البحثية في العديد

من المؤتمرات المتخصصة في الأدب عدا تلك التي أجريت مع الكاتب نفسه، فجد بعضها :

¹¹ إبراهيم رزان، الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، ط1، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، 2012.

¹² مزداوت، وسيمة، الإستعارة الروائية دراسة في بلاغة السرد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر ، باتنة، الجزائر،

2012.

¹³ بعيو نورة، العلاقة التفاعلية بين الفضاء والأيدولوجية في روايتي مدن الملح و البيت الأندلسي، مجلة الأثر، ع20، 2014.

- حوار أجرته (سليمة عداوري) مع (واسيني الأعرج) بعنوان : "واسيني الأعرج يفتح باب بيته الأندلسي ويوحد بشيء من سرّ الكتابة.

يعد هذا الحوار من أهم المراجع التي تناولت رواية البيت الأندلسي ، حيث طرحت الباحثة أسئلة تليق بالمكونات الداخلية للرواية .

- مقال لـ (وجدي الكومي) بعنوان : واسيني الأعرج : البيت الأندلسي تجربة مختلفة تحدث فيه عن وصول الرواية للقائمة الطويلة لجائزة البوكر عام 2010م ووقف على موقف واسيني الأعرج من التاريخ.

- مقال (أحمد زين الدين) : واسيني الأعرج يسرد الغربة العربية الإسبانية أشار فيه إلى البيت الأندلسي وإنعكاسه على واقع البلاد المعاصرة وتبيان أهم المصادر التراثية التي اعتمدها (واسيني الأعرج) في كتابته للرواية.

- ندوة أدبية عقدت في منتدى الرواد الكبار في الأردن بعنوان : رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج، وهدف الندوة مناقشة الرواية بمشاركة (سلاغم جمعان) و (رزان إبراهيم) بتاريخ 16-02-2013م.

- ورقة بحثية لـ (أمال سعودي) : البيت الأندلسي وعقب التاريخ تحدثت فيها عن العلاقة الجامعة بين التاريخ البعيد المتمثل في تاريخ الموريسكيين والتاريخ القريب المتمثل بالحرب الأهلية الإسبانية وفترة حكم (جونار) للجزائر.

- وآخر مقال كان ل(عادل الأسطة) بعنوان اليهود في الرواية العربية : واسيني الأعرج في البيت الأندلسي : فالباحث بدأ مقاله بالحديث عن البيت الأندلسي والشخصيات المحورية فيه (غاليليو) و(سلطانة بلاثيوس) المرأة اليهودية التي أحبها (غاليليو) ، ونهاية مقاله أن مصير اليهود متعارف عليه في فترة حكم العرب للأندلس على غرار رواية "أرض السواد" (عبد الرحمان منيق) و"باب الشمس" ل (إلياس خوري)¹⁴ وهناك لا يزال العديد من الدراسات أشرنا لبعضها.

¹⁴ ينظر: حسني زهير، حسني مليطات، رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج، دراسية نقدية تحليلية، أطروحة ماجستير في كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين(بتصرف).

خاتمة

في ضوء ما توصلنا إليه من خلال هذا البحث، يتبين أنّ رواية البيت الأندلسي لواسني الأعرج تُعد نموذجاً متميزاً في توظيف التاريخ داخل العمل الروائي، وذلك باعتبارها أداة فنية ورمزية لإعادة تشكيل الحاضر وتأمّل قضايا الذات والمجتمع.

توظيف الكاتب الذاكرة الأندلسية، بما تحمله من دلالات الانكسار والمفدى والضياء، لبناء سردية معاصرة تحاور الواقع الجزائري وتعكس أزمة الهوية والانتماء في زمن ما بعد الاستعمار.

وقد أظهر التحليل أنّ التخييل التاريخي في الرواية لا يقوم على إعادة تمثيل الماضي بصورة حرفية، بل على تفكيكه وإعادة تأويله فنياً وجمالياً، من خلال بنية سردية متعددة الأصوات، وشخصيات ترمز إلى أجيال متعاقبة من الشتات، وأمكنة تتأرجح بين الحنين والاعتراب. كما تجلّى التاريخ في الرواية كفضاء للذاكرة الجمعية، وكمجال لصراع الهويات والانتماءات، مما أضفى على النص عمقاً دلالياً يتجاوز البعد الوثائقي إلى بعد فلسفي وإنساني.

وعليه، فإنّ توظيف التاريخ في البيت الأندلسي لم يكن غاية في حد ذاته، بل وسيلة لفهم الذات عبر الماضي، ومساءلة الحاضر من خلال استحضار جراح الذاكرة. وتبرز أهمية هذا التوظيف في قدرته على فتح حوار بين الرواية والتاريخ، بين الحاضر والماضي، وبين الفردي والجمعي، مما يجعل من هذه الرواية عملاً أدبياً غنياً بالمعاني، مفتوحاً على قراءات متعددة.

ويبقى هذا العمل مفتوحاً على دراسات لاحقة يمكن أن تستكمل البحث في جوانب أخرى مثل تحليل الخطاب النسوي، أو استكشاف تجليات التصوف والروحانية، أو مقارنة توظيف التاريخ في البيت الأندلسي بأعمال أخرى من الرواية العربية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب :

- إبراهيم رزان، الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، ط1، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع، 2012.
- ابراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، احمد حسن الزيات، محمد علي النجار، معجم الوسيط، ج1، المكتبة الاسلامية للطباعة.
- ابن منظور، قاموس لسان العرب، انتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت، اصدار عام 1995م، برجة وتنظيم طراف خليل طراف مادة "روي"، نقلا عن طبعو دار صادر بيروت، 1990.
- احمد أبو سعد، فن القصة، ج1، منشورات، دار الشرق الجديدة، 1959
- إدوارد الخراط ، الرواية العربية واقع وآفاق، ط1، دار ابن الرش، 1981
- أماني بنت جعفر، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، القاهرة، دار القاهرة، 2007
- باختين ميخائيل، الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم جمال شحية، كتاب الفكر العربي 3 ، بيروت، 1982
- بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، ط 1 ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، 1990
- حليفي شعيب ، النص الموازي للرواية (إستراتيجية العنوان)

قائمة المصادر والمراجع

- سمر روجي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا، مقارنة نقدية، منشورات إتحاد الكتاب العربي دمشق ، د.ط، 2003

- سمير سعد حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005

- طالب العالية، تخييل التاريخ عند واسيني الأعرج "البيت الأندلسي"

- عبد الله العروي، في مفهوم التاريخ، قسم التاريخ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1

- العربي عبد الله، الأيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عثمان، دار الحقيقة ، بيروت،

1970

- عزيزة مردين، القصة والرواية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1971

- علي نجيب ابراهيم ، جمالية الرواية، نقلا عت امينة يوسف: تقنيات السرد في النظرية

والتطبيق، ط1 ، دار الحوار للنشر، سوريا، 1987

- فتحي بوخالفه، شعرية القراءة في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إريد-الأردن/ د.ط،

2010

- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية العربية)، المركز الثقافي العربي،

بيروت، لبنان، ط1، 2004

- قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، دار عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية،

ط1، 2007

- كيث ميتشل، التاريخ والذاكرة الثقافية في الرواية الفيكتورية الجديدة، ط1، دمشق، سوريا،

2015

- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار الغرابي، لبنان، بيروت، ط1، 2010.
- مصطفى الصاوي الجويني، في الادب العالمي القصة الرواية، القصة والسير، منشأة المعارف

الاسكندرية، 2002

- المقرئ ، أحمد لن محمد الطيب من غصن لسان الرطيب ، إحسان عباس ، م4 ، بيروت

دار صادر ، 1968

- نرتاض عبد المالك ، الرواية جنسا ادبيا، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة و الاعلام ، بغداد،

1986

- نزال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)،

عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006

- واسيني الأعرج، إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتابات، د.ط،

الجزائر، 1986

- ينظر : مؤرشف من الأصل في 11-12-2019، الرواية التاريخية : المفهوم والنشأة، أمين

درواشة، منصة بالعربية، 29 سبتمبر 2019.

- ينظر عذراوي سليمة ، واسيني الأعرج يفتح باب " بيته الأندلسي " و ييوح بشيء من

ستر الكتابة ، جريدة الدستور ، الأردن ، 15 10 2010 م

المجلات :

- بعيو نورة، العلاقة التفاعلية بين الفضاء والأيدولوجية في روايتي مدن الملح و البيت الأندلسي، مجلة الأثر، ع20، 2014.

- الخولي سمحة ، الارتجال و تقاليده في الموسيقى العربية ، مجلة عالم الفكر 6 p، ع1 ،

1975 م

- الرواية التاريخية من جرجي زيدان إلى نجيب محفوظ، جريدة عمان، 2 سبتمبر 2023

- السعيد زعباط، السرد وسلطة اللغة في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"، لواسني

الأعرج، مجلة النص، 1، 10 ديسمبر 2011

- شعيب حليفي ، إستراتيجية العنوان في الرواية العربية ، 1996 ، مجلة الكرمل ، اتحاد

كتاب فلسطين ، فبرص

- عبد الجليل بن عبد العزيز ، الميزان في الموسيقى الأندلسية ، العراق ، مجلة التراث الشعبي ،

p11 ، ع8 ، 1980 م

- فايد محمد، إستحضار التاريخ في الكتابة الروائية لدى واسيني الأعرج من خلال نصه

(كتاب الأمير)، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 12، ع2، حزيران 2017

مذكرات التخرج :

- أميرة بجة، عائشة فواذر، جدلية الفن التاريخي في رواية ربيع الأندلس لمحمود ماهر، مذكرة
ماستر أدب عربي، دراسات أدبية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر،

2021

- حسني زهير حسني مليطات ، رواية البيت الأندلسي ، دراسة نقدية تحليلية ، جامعة النجاح
الوطنية ، كلية الدراسات العليا . نوقشت 20 11 2014 درجة ماجستير ، نابلس ، فلسطين
- طال العالية، تحليل التاريخ عند واسيني الأعرج من خلال روايته البيت الأندلسي،
ماجستير، نقد مغربي التراث والحداثة، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد

الحמיד بن باديس، مستغانم، الجزائر، سنة 2015-2016

- فتحي ابراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للنشر المتحددين، تونس،
1988، ص 60-61، نقلا عن صالح مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، رسالة ماجستير،

جامعة منتوري قسنطينة، 2001-2002

- كلثوم بقريش مطمح الرواية التاريخية عند جورج زيدان رواية غادة كربلاء أنموذجاً، مذكرة
ماستر، أدب عربي، قسم اللغة والآداب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بوضياف المسيلة،

الجزائر، من 2015-2016

- محمد محمد حسن طيبل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب الغربي رسالة ماجستير ،
الجامعة الإسلامية، غزة، شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، كلية الآداب قسم اللغة العربية،

الإثنين 19 جمادى الآخر 1437هـ الموافق لـ 2016/03/28

- مزداوت، وسيمة، الإستعارة الروائية دراسة في بلاغة السرد، رسالة ماجستير غير منشورة،
جامعة الحاج لخضر ، باتنة، الجزائر، 2012 .

- يحياوي سامية، جدلية الواقعي والجمالي في الرواية الجزائرية، رواية الطوقان لمرتاض أنموذجا،
جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة

- ينظر: حسني زهير، حسني مليطات، رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج، دراسة نقدية
تحليلية، أطروحة ماجستير في كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس،
فلسطين(بتصرف).

المواقع الإلكترونية :

- بتصرف من موقع <https://dz.msila.univ.dspace.org/> : للطلبة : أسماء زيامة —
ياسمين غرابوي — أحمد أمين بوضياف .
- معلومات عن الرواية التاريخية على موقع thes.bncf.firenze.sban.it :

الملاحق

ملحق :

التعريف بالراوي واسيني الأعرج : ولد واسيني الأعرج في الثامن من شهر أغسطس عام 1954م من أصول أندلسية مورييسكية في قرية فقيرة "سيدي بوجنان" والتي يعمل معظم ساكنيها بالفلاحة. هذه القرية تابعة لولاية تلمسان.

نشأ وترى في قريته الصغيرة مع أبويه وجدته، عاش فيها ما يقارب العشرة أعوام، تلقى فيها تعلمه الأساسي ، وحجر الأساس الذي سيساعده في حياته الأدبية ، كما إلتحق بأحد المدارس الفرنسية التب كانت تنتشر في البلاد آنذاك ، والتي كانت ترفض التعليم باللغة العربية وتفرض التعليم بالفرنسية فقط، كلغة أساسية، وهنا تفتنت الجدة للخطر الذي يمكن أن يغير مصير حفيدها، لذلك ارتأت أن تدخله لأحد مدارس القرآن التي كانت منتشرة أيضا، وهذا ما أثر كثيرا على شخصية واسيني، وحببت له اللغة العربية حيث تعلم القرآن لغة وحفظا ومعنا.

أكمل تعلمه الجامعي في ولاية وهران، حيث درس في قسم الأدب العربي في جامعة الجزائر، حيث عمل في مجال الكتابة ومترجما للمقالات وحررا بإحدى الصحف.

بعدها غادر إلى مدينة دمشق، والتي عاش فيها حوالي عشر سنوات حصل على شهادة الماجستير برسالة بعنوان "إتجاهات الرواية العربية في الجزائر"، ورسالة الدكتوراه بعنوان "نظرية البطل في الرواية"، ثم عاد إلى الجزائر عام 1985 وعمل أستاذ المناهج والأدب الحديث في جامعة الجزائر المركزية،

وذهب بعدها بدعوة من جامعة لسبورن والمدرسة العليا والأساتذة إلى مدينة باريس/ حيث عمل هناك أستاذ كرسي بجامعة السبورن.

يعتبر واسيني الأعرج أحد أشهر الكتاب الروائيين في الوطن العربي، وفي الدول الناطقة باللغة الفرنسية، فقد كتب من أوائل الثمانينات وحتى وقتنا الحالي ما يزيد عن إثنتي عشر رواية، قد ذاع صيتها في الوطن العربي والأوروبي على حد سواء.

غالبا ما تدور رواياته عن المدينة، حيث يقدها وي أنها أكثر تعقيدا عن القرية الصغيرة، كما أنها أكثر حرية وإنطلاقا فهي بنظره تمثل التحرر والتعقيد على حد واحد.

كما تربطه أيضا علاقة قرية بالبحر، فهو يرى أنه جزء أساسي من حياة الإنسان، حيث يذكره مباشرة، أو بطرق غير مباشرة في رواياته.

نال العديد من الجوائز على مختلف أعماله الأدبية نذكر منها :

- تم اختيار رواية "حارسة الظلام" أفضل رواية في فرنسا عام 1997.
- حصل على جائزة الرواية الجزائرية عام 2001 عن مجمل أعماله.
- حصلت رواية الأمير على جائزة المکتبين الكبرى عام 2006.
- حصل على جائزة الشيخ زايد للكتاب فئة الآداب العامة 2007.
- حصلت رواية "البيت الأندلسي" على جائزة أفضل رواية عربية من اتحاد الكتاب للجزائريين سنة

2010.

- حصلت رواية "مملكة الفراشة" على جائزة كتارا للرواية العربية عام 2015.

تقسم أعماله الكتابية إلى قسمين : الكتابة الروائية والدراسات النقدية، فهذه الكتابة الروائية أخرجت واسيني الأعرج إلى الساحة الأدبية والعالمية، وذلك من خلال ترجمة أعماله إلى العديد من اللغات المختلفة، ونذكر ما يلي :

- البوابة الزرقاء "وقائع من أوجاع رجل" دمشق 1980م الجزائر 1982م.

- وقع الأحذية الخشنة "قصة مطولة" 2981م، و أعيد طباعتها 2010م.

- ما تبقى من سيرة لخضر حمروش دمشق 1982م.

- "نوار اللوز" بيروت 1983م الجزائر 1986م و 2001م، ترجمت إلى العديد من اللغات ، وقد

اهتم بها الكثير من طلبة الدراسات العليا في دراسة لبنية الخطاب السردى.

- "أحلام مريم وديعة" بيروت 1984 الجزائر 1987، 2001

- ضمير الغائب، دمشق 1990، الجزائر 2001، كما ترجمت الفرنسية.

- الليلة السابعة بعد الألف : رمل المادية، دمشق والجزائر 1993ك، كما ترجمت أيضا للفرنسية.

- سيدة المقام، ألمانيا 1995، الجزائر 1997 و 2001 ترجمت إلى العديد من اللغات، ونالت

قدرا كبيرا من الإهتمام في الأبحاث ، المجلات العلمية المحكمة وغير المحكمة والرسائل الجامعية.

- "حارسه الظلال" ألمانيا 1986 والجزائر 1998، 2001، موضوعها أثار جدلا واسعا، وكانت

محط أنظار النقاد.

- "ذاكرة الماء"، ألمانيا 1997م، والجزائر 1999م، 2001م، ترجمت للفرنسية والإيطالية.

- مرايا الضرير"، باريس 1998، بالنسبة للطبعة الفرنسية، وطبعت بالعربية عام 2001م.
 - "شرفات بحر الشمال"، بيروت والجزائر 2001م.
 - "الليلة السابعة بعد الألف" المخطوطة الشرقية، دمشق 2002م.
 - "طوق الياسمين" 2003م
 - كتاب الأمير، بيروت 2005م والجزائر 2005م، وأحدثت جدلا واسعا على الساحة النقدية الجزائرية.
 - سوناتا لأشباح القدس"، بيروت 2009م ، أعيد طباعتها 2013م
 - أنثى السراب، بيروت 2010، وهي شبيهة بالسيرة الذاتية
 - البيت الأندلسي ، بيروت 2010م، ترجمت للكردية والدنماركية.
 - أطابع لوليتا، بيروت 2012.
 - مملكة الفراشة، صدرت عن مجلة دبي الثقافية 2013م
 - سيرة المنتهى، عشتها كما اشتهي، 2014م.¹⁵
- أما بخصوص الدراسات النقدية، قد شاعت في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، حيث قام (واسيني الأعرج) بنشر الكثير منها في سوريا، مهد حبه للغة العربية، ونذكر أهمها :
- اتجاهات الرواية العربية في الجزائر 1986م.
 - النزعة الواقعية الإنتقادية في الرواية الجزائرية ، دمشق 1987م.

¹⁵ ابراهيم عبد الله، الكتابة والمنفى ، ط1، الجزائر : منشورات الإختلاف، 2011م، ص352.

- الجذور التاريخية للواقعية في الرواية، بيروت 1988م.
- ديوان الحداثة في النص الشعري العربي، اتحاد الكتاب الجزائريين 1993.
- موسوعة الرواية الجزائرية، أنطولوجيا النصوص والكتاب، الجزائر، 2006م.¹⁶

ولا يزال هناك العديد من المقالات النقدية أيضا...

فقد نالت كتابات (واسيني الأرج) اهتمام الكثير من القراء والدراسيين على حد سواء، وعرف أيضا بأسلوبه الحداثي، فهو كان يمتاز بالموهبة والقدرة، ولعل ما جعل كتاباته تصل هذا الحد من الاهتمام هو طريقته في السرد، فكانت تمتاز كتاباته بتضمين النص بالحكايات المتداخلة مع الحدث الروائي الأصلي والإكثار من اللغة الوصفية الموحية للشخصيات، كما أن أغلب رواياته تتحدث عن فكرة واحدة ألا وهي الحديث عن الموريسكيين، وأثر هجرتهم من بلادهم بهدف توضيح أصوله التاريخية واعتزازه بحده الموريسكي.

وختاما يمكننا القول أن فن الرواية في الجزائر قد تأخر في ظهوره على غرار الدور العربية "لذلك كان الحصول الروائي المؤلف قليلا، كما كانت خطوات تطور الرواية الفني هناك بطيئة، نظرا للظروف القاسية التي عاشتها الجزائر"¹⁷، فتنقسم الرواية الجزائرية إلى قسمين : الأول الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، وكان أشهر كتابها : (كاتب ياسين)، (محمد ديب) و(رشيد بوجدة) وغيرهم... ، والثاني

¹⁶ ينظر السابق، ص353.

¹⁷ ينظر : النساج ، سيد حامد ، الطاهر وطار والرواية الجزائرية، مجلة فصول، م2، ع2، 1982م، ص254.

الرواية المكتوبة باللغة العربية، حيث كتب أول رواية جزائرية 1947م، وهي رواية "غادة أم القرى"

ل(رضا حوحو)...

ومنه نقول أن (واسيني الأعرج) نابغة جزائرية وجب علينا الإشادة بأعماله وهو من أخرج التجربة

الروائية الجزائرية إلى العالم العربي خاصة والعالم ككل بصفة عامة.

ملخص

باللغة العربية :

يتناول هذا البحث دراسة توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي للروائي الجزائري واسيني الأعرج، من خلال تحليل آليات استحضار الماضي الأندلسي والجزائري داخل النسيج الروائي، واستكشاف الوظائف الجمالية والدلالية التي يضطلع بها هذا التوظيف في تشكيل الرؤية الفكرية والفنية للنص. ويقوم البحث على فرضية أن التاريخ في الرواية ليس مجرد خلفية زمنية للأحداث، بل عنصر بنائي فاعل يسهم في تأطير الأسئلة الجوهرية حول الهوية، المنفى، والذاكرة.

انطلق البحث من إشكالية مفادها: كيف يوظف واسيني الأعرج البعد التاريخي في البيت الأندلسي؟ وما الغاية الجمالية والفكرية من هذا التوظيف؟ وقد تم اعتماد المنهج التحليلي - التأويلي للكشف عن أبعاد التخيل التاريخي في الرواية، وتحليل الشخصيات، والأمكنة، وتعدد الأصوات السردية، مع الإشارة إلى حضور الرمز والتناص في بناء المعنى.

وقد خلصت الدراسة إلى أن رواية البيت الأندلسي تعيد إنتاج الماضي الأندلسي في سياق روائي معاصر، لتجعل منه مرآة لفهم حاضر مأزوم، وتجربة إنسانية موسومة بالاغتراب والانكسار، دون الوقوع في التقريرية أو التوثيقية، بل عبر توظيف فني راقٍ يمزج بين السرد والتاريخ والرمز والحنين.

Abstract:

This research explores the use of history in The Andalusian House (Al-Bayt Al-Andalusi) by Algerian novelist Waciny Laredj, through an analytical and interpretive study of how Andalusian and Algerian historical elements are interwoven into the narrative structure. The study aims to uncover the aesthetic and symbolic functions that this historical dimension plays in shaping the novel's artistic and ideological vision. It is based on the premise that history in the novel is not merely a temporal backdrop, but rather a dynamic narrative component that frames key questions related to identity, exile, and memory.

The research poses the following central question: How does Waciny Laredj employ history in *The Andalusian House**, and what aesthetic and intellectual purposes does this serve?* Using an analytical–hermeneutic approach, the study examines narrative techniques, character construction, the symbolic role of space and time, and the use of intertextuality and historical imagination.

The study concludes that *The Andalusian House* reconstructs the Andalusian past within a contemporary narrative framework, using it as a reflective lens to examine a fragmented present and a deeply human experience marked by loss, exile, and nostalgia. Rather than offering a documentary account of history, the novel employs history as a literary and symbolic tool, blending narrative, memory, and imagination with artistic sophistication.